

دراسات

التشكيك الصوتي وأثره في دلالة  
سورة آل عمران



أ.د. جاسم غالي رومي

التَّشْكِيكُ الصَّوْتِي وَآثَرُهُ فِي دَلَالَةِ  
سُورَةِ الْعَمْرَانِ

٤١٢,٢

ر ٩٨٩ رومي، جاسم غالي.

التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران  
/ جاسم غالي رومي . ط ١ - . البصرة : دار اليوسف ،  
.٢٠٢٣

١٣٦ ص. : ٢٤ سم.

١- اللغة العربية - الاصوات - م - العنوان

م.و.

٢٠٢٣/ ٨٤

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية ببغداد (٨٤) لسنة ٢٠٢٣



دراسات

التشكيكُ الصوّتي واثراً في دلالة  
سورة العَمْرَانِ

أ.د. جاسم غالي رومي

٢٠٢٣

Scholar

# دراسات

أ.د. جاسم غالي رومي

التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران

محفوظة  
جميع الحقوق

© جميع حقوق الطبع محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا المطبوع، أو جزء منه أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائل نقل المعلومات، سواء أكانت الكترونية أو ميكانيكية، بها في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع.

© All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this printed , or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording or storage and retrieval, without written permission from the rights holders .

الطبعة الاولى

٢٠٢٣

ISBN: 978-9922-9838-1-3

إصدارات مؤسسة

Scholar Worldwide (Schwlar)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالُوا سُبْحَانَكَ

لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا<sup>ص</sup>

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

(البقرة / ٣٢)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

# إهداء

روح والدي - رحمه الله - عرفاناً ووفاءً لذكراه.

إلى أمي فيض الحنان المتدفق أطال الله عمرها

إلى اخوتي واخواتي ...

اهدي ثمرة جهدي وفرحي ...

جاسم

## المحتويات

٩	مقدمة
١٣	تمهيد
١٣	التشكيل الصوتي بين القدماء والمحدثين
٢٢	الفصل الأول: أنماط التشكيل الصوتي في سورة آل عمران
٢٢	التكرار:
٣٥	التجنيس:
٤٧	المزاوجة:
٥٢	المشاكل:
٥٨	الفصل الثاني: الأثر الصوتي لبعض مظاهر التركيب في سورة آل عمران
٥٨	الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم:
٦١	الفواصل الصوتية وأثرها في القرآن الكريم:
٦٦	أهمية الفواصل ودورها في سورة آل عمران:
٦٩	أقسام الفواصل في سورة آل عمران
٨١	الائتلاف السياقي للفواصل القرآنية مع المعنى في سورة آل عمران:
٩٤	الفصل الثالث: مستويات الإيقاع في سورة آل عمران
٩٤	مفهوم الإيقاع:
٩٨	مستويات الإيقاع:
١٠٠	المستوى الأول: إيقاع المفردة
١١١	المستوى الثاني: إيقاع العبارة
١١٣	الجانب الأول: التلاؤم الصوتي وأثره في إيقاع العبارة القرآنية:
١١٨	الجانب الثاني: الأثر الإيقاعي لتكرار أصوات العبارة القرآنية:
١٢٠	الجانب الثالث: إيقاع الفاصلة القرآنية:
١٢٩	الخاتمة والنتائج
١٣١	المصادر والمراجع:



## مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله

الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، أما بعد:

ولذلك فقد كان لعلماء اللغة والبلاغة فضل السبق في نشوء النواة الأولى لعلم التشكيل الصوتي، ويأتي هذا الانجاز من خلال دراستهم العميقة والمكثفة للكثير من الظواهر الصوتية في اللغة، كظاهرة التكرار والتجنيس والمزاوجة والمشاكلة والتلاؤم الصوتي...، وغيرها من الظواهر الأخرى التي تعنى بتلاؤم الاصوات وانسجامها مخرجياً بعضها مع بعض ووضعها في انماط صوتية مختلفة تسهم في اغناء الدرس الصوتي.

أما الدرس الصوتي الحديث فقد أفاد من جهود علماء اللغة وخبرتهم في ارساء دعائم الدراسات الصوتية الحديثة من خلال اهتدائه لعدة مبادئ محددة في دراسة النظام الصوتي لاي لغة من اللغات المعينة، اتسمت بفكرة المستويات، ونخصُ منها المستوي الصوتي الذي يعنى بنمطين وهما دراسة الاصوات في مخارجها وصفاتها، والآخر دراسة الاصوات في نظمها وسياقاتها اللغوية المختلفة. وقد عولنا على الجانب الذي يدرس وظيفة الاصوات وتشكيلاتها المختلفة، وعلاقة هذه التشكيلات بالجانب الدلالي الذي يدرس المعنى، ولهذا فقد أطلق المحدثون على انظمة التشكيل الصوتي بما يعرف (بعلم الفونولوجيا) أو علم وظائف الاصوات الذي يعنى بتنظيم الاصوات في انماط لغوية خاصة تسهم في ربط المادة الصوتية بالصيغة العامة للتركيب اللغوي، لأجل الافصاح عن الدلالات الوظيفية لهذا التركيب وأثره في اجتلاب المعنى وبيانه.

أما على مستوى الوظيفة الدلالية التي يقدمها التشكيل الصوتي للغة، فقد كان لعلم البلاغة العربية أثرٌ مهمٌ في اغناء النمط التشكيلي في الدرس اللغوي، من خلال وضع عدة قوانين بلاغية أسهمت في بناء العبارة وتحسين إيقاعها الصوتي. ومن هذه القوانين حصراً: التكرار والجناس والتلاؤم الصوتي والمزاوجة والمشاكلة والفواصل، وغير ذلك منها، مما أدى العمل بها الى اعتدال النسق الصوتي للنص الادب.

لذلك فقد جاشت في النفس رغبة كانت تراودني طوال فترة دراستي التحضيرية الى دراسة علم التشكيل الصوتي وانظمتهم وقوانينه التي وضعها علماء اللغة القدماء والمحدثين، من خلال لغة القرآن الكريم التي تعد من أسمى وأنبل اللغات التي عرفتها البشرية في العالم جمعاء. ومعرفة

مدى فعالية هذه القوانين الصوتية في كشف الجانب الدلالي والوظيفي لمفرداتها، خصوصاً وان لغة القرآن الكريم تختلف في طابعها التشكيلي عن بقية انماط القول الاخرى كالشعر والثر. لما تتمتع به من احكام وقوة ربط بين مفرداتها في تكوينها العام. وقد كان تأهيل هذا المسعى عاملاً مهماً في البحث والتنقيب عن موضوع الكتاب، حيث وجدت ما يحقق لي رغبتني لدراسة: " التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران "، وليس القصد من دراسة هذا الموضوع في سورة آل عمران، لغرض التحجيم والقصر، ولكن لاتخاذها انموذجاً تطبيقياً على ذلك، فضلاً عن ان سور القرآن الكريم ليس فيها تفاضلٌ، لأنها تمتلك المكونات اللغوية والاسلوبية نفسها، ولكن اردنا في ذلك عدم الاسهاب والتوسع مما قد يدخلنا في مطبات اخرى تحيد بنا عن هدفنا، والعامل الاخر ان هذا الموضوع حسب علمي المتواضع لم يدرس في رسالة مستقلة تبحث جميع جوانبه وقوانينه في الدرس الصوتي الحديث، إلا في فصل أو مبحث في كتاب أو رسالة وبصورة متفرقة.

من المصادر المهمة التي اعتمدها المؤلف في تقويم بحثه وتأصيله كتاب الخصائص لابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، وثلاث رسائل في اعجاز القرآن للخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، والرماني (ت ٣٨٦ هـ)، والجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، وكذلك كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ). ومن المراجع الحديثة، كتاب اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للدكتور مصطفى صادق الرافعي، وبحث من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم للدكتور محمد سليمان العبد التي اغنت فصول الكتاب وقومته.

انتظم الكتاب في ثلاثة فصول وتمهيد ويلحقه خاتمة ونتائج، وقد ضم التمهيد دراسة للتشكيل الصوتي بين القدماء والمحدثين، بين فيه الباحث اهم التعريفات التي ساقها علماء اللغة القدماء والمحدثون فيه، وكذلك دراستهم لنظم الاصوات ووظائفها في التشكيل الصوتي للنص، وما يؤديه هذا التشكيل من الموافقة بين الاصوات في التأليف وسهولة المخارج فيما بينها، من انتظام في السياق أو التركيب، ينتج عنه بيان وظيفة التشكيل الصوتي في اظهار المعاني الدلالية للنصوص المتشكلة في شتى فنون القول كالشعر والثر.

أما الفصل الاول (انماط التشكيل الصوتي في سورة آل عمران) فقد جاء دراسة للأنماط او القوانين التي وضعها علماء البلاغة لتحسين السياق اللغوي ومنها: التكرار والتجنيس والمشكلة والمزاوجة، التي تعد من القوانين المهمة في بناء التشكيل الصوتي في القرآن الكريم وسورة آل عمران بصفة خاصة.

مع ملاحظة ما تضيفه هذه القوانين على آيات هذه السورة من تناسق لفظي يعتمد على الانتظام والتعدد والاشتقاق بين الالفاظ في سياق التركيب لها، مما يضيف عليها طابعاً موسيقياً منتظماً، تظهر من خلاله الدلالات الوظيفية للألفاظ المتسقة، مما يزيد في تأثيرها في آذن المتلقي أو القارئ. وقد جاء الفصل الثاني بصيغة (الآثر الصوتي لبعض مظاهر التركيب في سورة آل عمران)، فقد درس فيه الباحث أهم العناصر التي تسبب الانسجام الصوتي الحاصل بين أصوات الالفاظ في النسق الصوتي، وهي الفواصل والتلاؤم الصوتي. وما لهذين العنصرين من أثر في سور القرآن الكريم وفي ثنايا آيات سورة آل عمران بوجه خاص. من خلال حسن انتظام الآيات من ناحية القصر أو الطول والتوازي والتوازن في مقاطعها. وكذلك من حيث تلاؤم أصواتها وحسن تأليفها في الالفاظ ليشكل ذلك انتظام العبارة في الآية الواحدة أو مجموعة الآيات في هذه السورة. وما للفواصل من دور توديه في حسن انتظام النسق الصوتي للآية من مراعاة الفاصلة لما قبلها وما بعدها من الالفاظ وفي انتظام معناها. اي ان هذه العناصر مجتمعة اسهمت في اظهار الدلالات الوظيفية لألفاظ الآيات في سورة آل عمران، مما يزيد بيان معناها بصورة اوضح.

أما الفصل الثالث (مستويات الإيقاع في سورة آل عمران) فقد سلط فيه الباحث الضوء في دراسة مفهوم الإيقاع وأبرز آراء علماء اللغة القدماء والمحدثين. فضلاً عن دراسة مستويات الإيقاع في الفاظ القرآن وفي سورة آل عمران بصورة خاصة. من ناحية تكرار الصوت في اللفظة المفردة، أو تكرار اللفظة ذاتها في سياق الآية. وما يحدثه هذا التكرار من التتابع النغمي للأصوات ينتج عنه إيقاعاً منتظماً غاية في الجمال والعدوبة يساعد على اظهار المعنى. وأما المستوى الثاني للإيقاع، فقد درس الباحث فيه ما لتكرار العبارة في نسق الآية من إيقاع يضيف عليها اتساقاً موسيقياً مؤثراً ينم عنه ابراز الدلالات للألفاظ المتسقة في الآية القرآنية وما للمعاني من تأثير في المتلقي.

لقد أعتمد المؤلف في دراسته منهجاً وصفيّاً يقوم على المزوجة بين آراء علماء اللغة القدماء وما يقابلها من آراء المحدثين في وصف ظواهر التشكيل الصوتي، مدعمة بأمثلة من القرآن الكريم، وكلام العرب القديم من شعر ونثر.

وبعد... فأني لا أدعي الكمال، وما أبرئ نفسي من الخطأ، وحسبي أنني باحث بذلت من الجهد ما استطعت، فالشكر أولاً و أخيراً لله وحده الذي منحني الصبر واعطاني القوة والعافية حتى أكملت هذا العمل.

وأخيراً أسأل الله ان يعصمنا من الزلل ويتقبل اعمالنا بنياتها، وان يجعل هذا النتاج بداية صحيحة على طريق خدمة لغتنا العربية المتمثلة بلغة القرآن الكريم من خلال البحث المتواصل فيها، ويرشدنا سواء السبيل، انه نعم المولى وولي التوفيق.

جاسم غالي رومي  
البصرة / ١٩٩٨

## التشكيل الصوتي بين القدماء والمحدثين

درس علماء اللغة من قدماء ومحدثين أصوات اللغة دراسةً موسعةً وشاملةً، فنجحوا في وصف جوانب كثيرة منها. ولا يخفى غموض بعض الجوانب في أبحاثهم واختلافهم في بعض الآراء وخاصة في تحديد سمات النطق الخاصة ببعض الاصوات. وهذا الاختلاف لا يعد عائقاً امام تطور الدرس الصوتي لديهم وبما أن اللغة ظاهرةً انسانية تجمع في محتواها بين المظهر المادي لها المتمثل في أصواتها، وبين المظهر الدلالي المتمثل في التفاهم والوسائل من كلمات وجمل، فإن أهمية هذه المظاهر الصوتية تكمن في إيصال المعنى ودلالته للمتلقي.

وقد ظهرت في الآونة الاخيرة بعض المبادئ المفيدة في دراسة اللغات، وأهم هذه المبادئ فكرة المستويات التي تقسم اللغة الى انظمة: ((فالمستوى الصوتي يدرس النظام الصوتي، والمستوى الصرفي يدرس نظام بنية الكلمة، والمستوى النحوي يدرس نظام تركيب الجمل، والمستوى الدلالي يدرس المعنى))<sup>(١)</sup>. ولا يخفى في هذا المجال الا المستوى الصوتي، الذي يدرس أنظمة الاصوات وتشكيلها وعلاقة هذا التشكيل بالمستوى الدلالي الذي يدرس المعنى، ولذلك أُطلق على أنظمة تشكيل الاصوات بما يسمى حديثاً (بعلم الفونولوجيا) أو ما يُطلق عليه وظيفياً (بعلم الاصوات التشكيلي) أو (علم وظائف الاصوات)، ويُعنى بنظم المادة الصوتية وإخضاعها للتعقيد والتقنين، ويبحث في الاصوات اللغوية من حيث وظائفها في اللغة، ولذلك فإن علم: ((الفونولوجيا يقدم وسائل ربط المادة الصوتية بالصيغة او التركيب اللغوي، إذ هو الذي يقوم بوضع أصوات اللغة في أنماط ونظم تُستغل في بناء التركيب اللغوي وعناصره))<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الإشارة الى أن علماء اللغة القدماء من نحاة وبلاغيين قد كان لهم فضل السبق في هذا المجال من الدرس اللغوي مما كان له الأثر في نشوء النواة الاولى لعلم التشكيل الصوتي، وذلك من خلال دراستهم لكثير من الظواهر الصوتية في كتبهم النحوية والبلاغية، فقد: ((تنبه اللغويين العرب القدامى لتلك الظواهر ونصّوا عليها في كتبهم ودرسوها دراسة متأنية وعميقة، مثل ظاهرة الوقف، وظاهرة المناسبة، والادغام، والاعلال والابدال،

(١) - التشكيل الصوتي في اللغة العربية (د. سليمان حسن العاني): ٩٠

(٢) - علم اللغة العام (الاصوات) (د. كمال محمد بشر): ٥٨٠

والتوصل الى النطق بالساكن والتخلص من التقاء الساكنين، وكراهية توالي الامثال، وكراهية توالي الاضداد، الخ)).<sup>(١)</sup>

ونخص من هؤلاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) في كتابه العين وسيبويه (ت ١٨٠ هـ) في الكتاب، حيث أفرد فصلاً خاصاً بالأصوات تحت عنوان (باب الادغام)، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه سر صناعة الاعراب، والخصائص. و ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في كتاب الصناعتين، وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) في كتاب (سر الفصاحة)، وغير هؤلاء من الذين اختطوا لأنفسهم منهجاً على هدي منهج الخليل بن احمد الفراهيدي في دراستهم الصوتية والنحوية. ويأتي ذلك نتيجة اهتمامهم بالأصوات اللغوية، حيث درسوها دراسة عميقة ومستفيضة، في جانبها المخرجي والتشكيلي

وقد اعتمدت اللغة العربية في تشكيلها الصوتي، سواء من أكان ذلك من خلال مفرداتها أم جملها وعباراتها على عناصر حروفها الابدجية المكونة لها، حيث استندت الى تسعة وعشرين صوتاً، كما جاء في قول الليث عن استاذه الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ان ((في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها احياء ومدارج واربعة احرف جوف وهي: الواو والياء والالف اللينة والهمزة، وسميت جوف لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة انما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيزٌ تنسب اليه إلا الجوف. وكان يقول كثيراً: الالف اللينة والواو والياء هوائية أي انها في الهواء)).<sup>(٢)</sup>

وتعد دراسة الخليل هذه الاساس الذي بنيت عليه الدراسات الصوتية اللاحقة، فهذا ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) يصفُ الصوت اللغوي واستعمالاته اللغوية، إذ يقول: ((اعلم ان الصوت عرضٌ يجرُج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين، مقاطع تشنيه عن امتداده واستطاله فيسمى المقطعُ أينما عرض له حرفاً)).<sup>(٣)</sup> ولذا تختلفُ أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها في جهاز النطق.

أي أنّ اللغة العربية قد أفادت من هذا المخزون الصوتي المتمثل في أصواتها وما لهذه الاصوات من صفاتٍ ومخارجٍ متنوعة في تشكيل الفاظ عباراتها وتناسقها، وهذا ما أشار اليه الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ) في معرض حديثه عن دور الحرف ووظائفه داخل السياق اللغوي، لما له من

(١) الفواصل الصوتية في الكلام وأثرها على المواقع النحوية، د. مصطفى النحاس، (بحث في مجلة العربية للعلوم

الانسانية)، ع ٢٤-١٩٨٦: ١٢١.

(٢) العين: ١/٥٧.

(٣) سر صناعة الاعراب: ١/٦٠.

وظيفة تعبيرية ناشئة من جرسه الموحى داخل الكلمة أو في النسق اللفظي للعبارة بصورة عامة، وخاصة في كلامه عن حروف الذلق والشفاه الستة التي هي: ((ر ل ن، ف ب م)).<sup>(١)</sup> إذ يقول في ذلك: ((فلما ذلقت الحروف الستة، ومذلل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق، كثرت في أنية الكلام، فليس شيئاً من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها)).<sup>(٢)</sup>

وقد بين الخليل (ت ١٧٥ هـ) كذلك أهمية جرس الاصوات وما لها من مزية واضحة في تحسين النطق باللفظ ووضوحه، مشيراً بذلك الى صوتي (العين، والقاف)، حيث وصفهما بأنهما: ((لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه، لانهما أطلق الحروف وأوضحهما جرساً، فاذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما، فإن كان البناء اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لان الدال لانت عند صلابه الطاء وكزازتها، وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت وصارت حال السين ين مخرج الصاد والزاء كذلك)).<sup>(٣)</sup>

أما ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فيرى أن للصوت اللغوي قيمة ذاتية من حيث الدلالة، ولكن إذا ما وضع في هيكل لغوي خاص به، ككلمة مثل أو عبارة لفظية في سياق متكامل.<sup>(٤)</sup> وقد عرّج على رأي ابن جني من المحدثين الدكتور سمير شريف ستيتيه، إذ يرى أن الصوت المفرد: ((ليس له معنى في ذاته، وانما له قيمة تعبيرية مرتبطة بخصائصه الاكوستيكية والفيزيائية)).<sup>(٥)</sup> لذلك يبدو واضحاً لناطق العربية أن يميز بين جميل ألفاظها ووحشيه، حتى يضع كلامه المؤلف بما يوضح المعنى العام، مراعيًا في ذلك تكوين اللفظة من حيث ثقلها على السمع لانتظامها من توالي أصوات متقاربة المخارج وثقيلة النطق، لذا أشار ابن جني الى هذه الظاهرة اشارة واضحة، قائلاً: ((ومن إيثارهم (أي العرب) لتباعد الاصوات، إذا كان الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه، ولذلك كانت الكتابة بالسواد في السواد خفية، وكذلك سائر الالوان)).<sup>(٦)</sup>

أما ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) فقد تجسّدت لديه فكرة اساسية عن الحرف، إذ عدّه صورة للصوت عارضة له، ولذلك يتميز من خلالها عن اي صوت آخر يمثله في حدة تنغيمه وثقله في السمع

(١) العين ١/٥١

(٢) المصدر نفسه: ١/٥٣-٥٤

(٣) المصدر نفسه: ١/٣٥-٥٤

(٤) ينظر: الخصائص: ١/٦٥-٦٦

(٥) - منهج التحليل اللغوي (بحث في مجلة آداب المستنصرية)، (ع ١٦ - ١٩٨٨): ٢٥٥

(٦) - الخصائص: ٢/٢٢٩

أثناء وضعه في تشكيل لفظية أو عبارة. <sup>(١)</sup> وهذا ما نجدُه عند أخوان الصِّفا، فإنَّ تشكيل الكلام يتحدّد لديهم بصورة واضحةً وجليّة في تمازج الاصوات بعضها مع البعض الآخر في تشكيلات صوتية متميزة، وتكون هذه الاصوات بحروف مقطّعة: ((دالة على معانٍ مفهومةٍ من مخارج مختلفة، وأبعد مخارج الحروف أقصى الحلق، وهو مما يلي أعلى الصدر - والصوت من الجسم في الرئة بيت الهواء)). <sup>(٢)</sup>

أي ان الصوت على حدّ وصفهم لا ينفصل عن الحرف مادام صورة له وتحميداً فعلياً في عملية اداء الوظيفة الصوتية للغة عبر انظمتها الشكلية في السياق اللغوي، ولذلك أطلقت العرب تسمية الحرف على الصورة الشكلية للصوت دلالةً على الوظيفة المعنوية التي يؤديها من خلال السياق، لذا جاء تعريفه في اللغة، ان: ((الحرف في كلام العرب يُراد به حدّ الشيء وحدته ومن ذلك حرف السين، انما هو حدّه وناصيته)). <sup>(٣)</sup> وسمّيت الحروف في الكلام حروفاً لأن: ((الحروف حدّ منقطع الصوت، وقد قيل: انما سُمّيت بذلك لأَنَّها جهاتٌ للكلام ونواح، كحرف الشيء وجهاته)). <sup>(٤)</sup> ولذلك تُعدُّ الحروف رموزاً دالةً على الاصوات، أو هي القيمة التعبيرية لها من خلال وجودها في تشكيل صوتي خاص بها، كأن تكون في كلمة، وتكون هذه الكلمة في سياقٍ لفظي، لأنه لا قيمة للصوت المفرد خارج السياق إلا إذا وُجد في نسقٍ صوتي خاصّ به، يعطيه دلالةً معينة. <sup>(٥)</sup>

فقد ألع ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) الى هذا الجانب المهم الذي يُخصُّ جرس الحرف وتناسقه مع بقية الأحرف في تكوين الكلمة وتلاؤمه مع أصوات الكلمات الأخرى، إذ يرى ان: ((لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزيةً على غيرها، وأن تساويها في التأليف من الحروف المتباعدة، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسناً يتصور في النفس ويُدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه، كل ذلك لوجهٍ يقع التأليف عليه)).

وأما ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) فقد وصف الفصيح من الالفاظ بأنه الظاهر البيّن في النطق، إذ يقول: ((وإنما كان ظاهراً بيّناً، لأنه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مدركٌ بالسمع. والذي يُدرك بالسمع إنما هو اللفظ، لأنه صوت يأتلف عن مخارج

(١) - أسباب حدوث الحرف: ٤٠

(٢) - رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء: ٣/ ١١٤٠

(٣) - سر الفصاحة (ابن سنان الخفاجي): ١٣٠

(٤) - سر الفصاحة: ١٣٠

(٥) - ينظر: لغة الشعر عند عبيد بن الابرس، جهان عبد الواحد شغاتي، رسالة ماجستير: ٣٠

الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح)).<sup>(١)</sup> وهذا مما يدل على أنّ الطابع النغمي لجرس الحرف قد أعطي له حيزاً كبيراً في وضع المفردة العربية، حتى غدا بإمكان الناظم للنص ان يُراعي هذا الجانب الفني في بناء نصه وإظهار افكاره وتوصيلها بواسطة هذه الاشكال الصوتية ذات التأثير في المتلقي. أما على صعيد الوظيفة الدلالية للتشكيل الصوتي، فقد كان للبلاغة العربية دورٌ مهمٌ في عملية وضع عدة قوانين بلاغية أسهمت في بناء العبارة وتحسين إيقاعها وإظهار الوظيفة الدلالية للألفاظ المتسقة فيها، ومن هذه القوانين: السجع والتكرار والجناس والتلاؤم والمزاوجة والمشاكلة، والمقابلة والفواصل وغير ذلك منها، مما يؤدي العمل بها الى تحسين النسق الكلامي للنص المؤلف الذي لا يجب أن يُطلق عليه كما يرى الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

نصاً بلاغياً: ((يستحق اسم البلاغة حتى يُسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك)).<sup>(٢)</sup>

ونجده كذلك قد اشترط عدة شروط في عملية تكوين التشكيل الصوتي للنص اللغوي وفي عملية انسجام الفاظ مع بعضها، التي منها عدم تنافرها والموافقة فيما بينهما، وكذلك سهولة المخارج وعدم تقاربها حتى لا يحصل الثقل في النطق، والتماثل الصوتي بينها والسبك والتماسك في الكلام الذي يجري - كما وصفه - على اللسان كما يجري السائل أو الدهان.<sup>(٣)</sup> وهذا ما عبّر عنه أحد المحدثين ووصفه بعملية (التماسك الصوتي)، إذ يرى أنّ: ((التماسك بين الكلمات هو الخطوة الاساسية في بناء الجملة، بل هو خطوة مهمة في بناء النص كله. فعدم وجود التماسك بين الكلمات يُضيق الجملة، وبدونه لا تُسمى الجملة جملة)).<sup>(٤)</sup>

ونجد كذلك أنّ من البلاغيين من اشترط عدة شروط في تأليف اللفظة المفردة، منها ان يكون تأليفها من حروف متباعدة المخارج، لا من حروف متقاربة المخارج حتى لا تكون نافرة ثقيلة النطق غير مستأنسة، وكذلك يجب ان تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساوى في التأليف من الحروف المتباعدة، ويجب إلا تكون متوفرة وحشيّة ولا ساقطة عامية.<sup>(٥)</sup> وقد ظهر هذا واضحاً في الانهاط الادبية، كالشعر والنثر وأغراضها المتعددة، ومن ذلك نجد أنّ الشعر العربي قد خلق له من بعض أشكال الصوت وأناطه تشكيلاً صوتياً خاصاً به. وجاء هذا

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والساعر: ١/ ١١٥.

(٢) البيان والتبيين: ١/ ١١٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٦٦-٦٧.

(٤) منهج التحليل اللغوي، د. سمير شريف ستييه (بحث في مجلة آداب المستنصرية): ٢٥٦.

(٥) ينظر: سر الفصاحة: ٥٤-٥٥-٥٦-٦٣.

التشكيل في النثر كذلك وأغراضه المتنوعة، ولذلك: ((يكتسبُ العمل الابداعي - في مجال اللغة - من جراء عمليتي الانتقاء والتنسيق طبيعةً صوتيةً تقوم على أساس تمايز المكونات اللغوية الداخلة في بناء النصِّ عما هو خارجه)).<sup>(١)</sup>

أي أنّ انماط التشكيل الصوتي للقصيدة تتطلب من الشاعر أن يحدث انسجاماً تاماً بين اللفظ والمعنى، فالألفاظ الداخلة في التشكيل العام للشعر على حدّ تعبير قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ) ينبغي ان تكون: ((تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الامر في الوزن الى نقصها من البنية بالزيادة عليها والنقصان منها، وأن تكون أوضاع الاسماء، والافعال والمؤلفة منها وهي الاقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تأخير ما يجب تقديمه، ولا الى تقديم ما يجب تأخيره منها، ولا اضطرّ ايضاً الى اضافة لفظة اخرى يلتبس المعنى بها)).<sup>(٢)</sup> وكذلك يؤكد على ان تكون المعاني: ((تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته)).<sup>(٣)</sup>

لذلك نجد أنّ التشكيل الصوتي هو أحد العناصر الاساسية والفعّالة في بناء القصيدة العربية وهيكلها العام، التي تتحدد بأنها كلامٌ ذو وزنٍ وقافية يُراد به الدلالة على معنى معين.<sup>(٤)</sup> ينم عن تمام الدلالة والوضوح، وتتحدد أيضاً البنية الصوتية للقصيدة بصورة متكاملة في استخدام الشاعر وحداتٍ وأنظمةٍ خاصة: ((لاستخداما خاصاً بحيث يقيم من كل منها بنية صغيرة تساهم في تشكيل البنية العامة للنصِّ، وذلك بأن يخالف بين الوحدات أو يوازن بينها أو يجيء بها متكاملةً أو متعارضةً أو متوازياً، أو يوزعها على مواضع بعينها في النص، أو يغلب بعضها على غيره بصورة لاقية، بما يلائم المعنى أو الدلالة العامة للنص)).<sup>(٥)</sup> أي أنّ التشكيل الصوتي في القصيدة يصبح ذا طبيعةً متكاملةً من حيث التناسق والاتزان.

أما بالنسبة للتشكيل الصوتي في النثر وأغراضه فإنه يقترب من النطاق العام للتشكيل الصوتي في الشعر ومميزاته، ونجده من خلال ما روي من سجع الكهان وخطبهم وأمثالهم في الجاهلية مما يوحي لنا بأنظمةً صوتيةً ذات تشكيل صوتي مغاير للكلام الدارج في لغة خطابهم اليومية التي تتسم بالبساطة والسلاسة، لذلك يرى الجاحظ (ت ٢٢٥ هـ) أنّ الكهان وأشباههم في عصر

(١) دلالة الانساق البنائية في التركيب القرآني (عامر عبد محسن السعد). رسالة دكتوراه ٢٠٢١.

(٢) نقد الشعر: ١٦٥.

(٣) نقد الشعر: ١٦٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦٨.

(٥) بنية القصيدة (د. عبد الهادي زاهر) (بحث مجلة كلية الآداب - جامعة صنعاء) (ع ٣ - ١٩٨١): ٢١٩.

الجاهلية يعتمدون الكهانة ويحكمون بأنماط الاسجاع المتنوعة. (١) ونجد كذلك أن هذه الظاهرة قد بقيت شائعة في الاسلام، لذا قد: ((كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة، فلا يهنوهم)). (٢) عن ذلك النوع من النثر.

يبدو لنا واضحاً من كلام الجاحظ المتقدم أن هناك تقارباً قوياً بين صلات التشكيل الصوتي في الشعر وما يماثله من تشكيل في النثر. لذلك على الناثر أن يضع لنصه قواعد تتضح فيها الابعاد الوظيفية والفنية للألفاظ الداخلة في تشكيل نصه، ناهيك عما يؤديه التشكيل الصوتي بين الفاظه من ترابط وشد لعناصره التكوينية، وهذا ما أكده أ.أ. رتشاروز في كون عمل اللفظ في النص من حيث هو صوت لا يمكن أن ينفصل عن التأثيرات الاخرى التي تتم في الوقت نفسه، لذلك فإن جميع هذه التأثيرات تتحد معاً، بحيث لا يمكننا فصل أحدها عن الاخرى. (٣)

أي أن التشكيل الصوتي يؤدي وظيفة مهمة في ترصين دعائم البناء الصوتي لمفردات النص وذلك بانضمام الاصوات بعضها الى بعض في وحدة عضوية تشكل المفردة او مجموعة المفردات التي بتأليفها: ((تمثل الكلام والقدرة على تناسق هذا الكلام وتآلفه، من الاصوات في تناسقها وتآلفها - وتنافر الكلمات وتماثلها قد يعود على الاصوات في قرب مخارجها أو تباعدها أو في طبيعة تركيبها وتداخلها)). (٤) ومن هذا كله تبرز القيم الجمالية والفنية للنص بصورة أوضح.

أما علماء اللغة المحدثون فقد اهتموا بدراسة الصوت اللغوي، وتكمن أهمية هذه الدراسة في بحث تكوين التشكيلات الصوتية، ولذلك فقد عرفوا الصوت بأنه: ((ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغال الحنجرة لدى الانسان. فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الانف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الى الاذن)). (٥)

ولأجل ذلك قسّموا دراسة الاصوات اللغوية الى قسمين رئيسيين هما الفونتيك والفونولوجيا، فالأول يدرس الجوانب الفيزيائية للأصوات من حيث كونها أحداثاً منطوقاً بالفعل ولها تأثير سمعي معين، أي دراسة الاصوات من الناحية العضوية دون النظر في قيم هذه الاصوات أو

(١) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٩٠.

(٣) مبادئ النقد الادبي: ١٩١.

(٤) منهج البحث الصوتي عند العرب نقد وتحليل (د. محمد حسين علي الصغير)، بحث مجلة الضادع ٣-

١٩٨٩: ٨٦.

(٥) الاصوات اللغوية (د. إبراهيم أنيس): ٨، وللمزيد انظر: الكلمة والمعنى (ستيفن اولمان): ٢٣- ودراسة الصوت

اللغوي (د. احمد مختار عمر): ٢٤، وعلم اللغة العام (الاصوات): ٣٨.

المعاني الموضوعية لها في اللغة، أي: ((انه يُعنى بالمادة الصوتية لا بالقوانين الصوتية وبخواص هذه المادة لا بوظائفها في التركيب الصوتي للغة من اللغات)).<sup>(١)</sup> (noise) أو الاصوات بوصفها  
ضوضاء

أما القسم الثاني وهو (الفونولوجيا) أو ما يسمى وظيفياً (بعلم التشكيل الصوتي) فإنه يُعنى بنظم المادة الصوتية وإخضاعها للتعقيد في قوانين خاصة تبحثُ وظائف الاصوات في اللغة ولذلك نجد: ((أن الفونولوجيا يقدّم وسائل ربط المادة الصوتية بالصيغة او التركيب اللغوي، إذ هو الذي يقوم بوضع أصوات اللغة في أنماط ونظم تستغل في بناء التركيب اللغوي وعناصره)).<sup>(٢)</sup> ولذا فقد تعددت الآراء في تعريف (علم التشكيل الصوتي) وبيان وظيفته الدلالية من خلال انتظام مجموعة من الاصوات في الالفاظ أو العبارات، ومن هذه الآراء رأي الدكتور تمام حسان. إذ يرى أن التشكيل الصوتي هو دراسة للأصوات التي تجري في نسق الكلام من حيث كونها حركاتٍ عضويةٍ تقترن بنغماتٍ صوتيةٍ معينةٍ، وهذا ما يعرف بعلم الأصوات. ولكن توجد دراسةٌ أخرى للأصوات غير مقصورةٍ على دراسة طبيعة الاصوات وإنما إخضاعها لقواعد معينةٍ في تجاوزها وائتلافها في مواقعها من حيث كونها حروفاً منفردة او مجتمعة في مقطع واحد أو عدّة مقاطع صوتية وكثرة ورودها فيها. ثم دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات من حيث كونها أصواتاً منطوقة بل دراستها من خلال علاقتها بالمجموعة الكلامية بصفة عامة ودراسة سلوكها في مواقعها ونبرها وتنغميمها وهذا ما يعرف بالتشكيل الصوتي.<sup>(٣)</sup> ويضيف موضعاً هذه الظاهرة: ((ولكننا نجد أنفسنا في كثير من المواضع تستعمل في التشكيل الصوتي اصطلاحات تستعملها في الأصوات فإذا كُنّا نقسم الاصوات مثلاً الى شديدٍ ورخوٍ ومركبٍ ومتوسطٍ، فهذا تقسيم الحروف في التشكيل الصوتي أيضاً، وإذا قسمنا الاصوات الى مجهورٍ ومهموسٍ، أو مفخمٍ ومرفقٍ، أو نسبنا إليها مخارج معينة، فإننا نفعل نفس الشيء مع الحروف)).<sup>(٤)</sup>

أما الدكتور أحمد مختار عمر فإنه يتفق مع نظرائه من المحدثين في استعمال مصطلح (فونولوجي) أو (علم التشكيل الصوتي) في الدراسات الصوتية التي تصف النظام الصوتي الوظيفي الخاص في أي لغةٍ معينةٍ.<sup>(٥)</sup> ويصفُ الدكتور عبد الصبور شاهين مصطلح (فونولوجي) بأنه (موضوع

(١) علم اللغة العام (الاصوات): ٢٨٠.

(٢) المرجع نفسه: ٥٨٠.

(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٣٩.

(٤) المرجع نفسه: ١٣٩ - ١٤٠.

(٥) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ٤٧٠.

الاصوات التشكيلي)، ويرى: ((أته يدرس الصوت في سياقه، ولذلك يطلق عليه (علم الاصوات التشكيلي) أو الفونولوجيا، الذي يدرس النظم الصوتية للغة معينة، وكما ينطقها أصحابها في ممارستهم اليومية، (...))، وان الصوت في سياقه يختلف عن الصوت المجرد، من حيث كمية الجهد اللازمة لإنتاجه، ومن حيث تأثيره بالأصوات السابقة عليه واللاحقة به، ولهذا التأثير قوانين عامة في جميع اللغات)).<sup>(١)</sup>

أما الدكتور محمد رشاد الحمزاوي فيعرف علم الفونولوجيا بأنه: ((علمٌ يبحث في الاصوات ذات الوظيفة الدلالية في إحدى اللغات، كالبحث في السين والصاد في مثل: صبر وسير، والهمزة الاصلية والمنقلبة عن القاف وكالحاء في نفخ حيث تقارب بالحاء في نفخ)).<sup>(٢)</sup>

ولذلك فإن الاصوات تستمد دلالتها من خلال وضعها في سياقات صوتية مختلفة، أي أن: ((الدلالة الذاتية تستمد كينونتها من طبيعة الاصوات وعلاقاتها السياقية، فهي دلالة صوتية، لأن الالفاظ تكتسب دلالتها من جرس أصواتها فينشأ ما يُسمى بالمناسبة الطبيعية بين الاصوات والدلالات، فتكون عملية التحوّل بالصوت الى دالّ مدرك)).<sup>(٣)</sup>

هذه أبرز الآراء والتعريفات التي ساقها لماء اللغة القدماء والمحدثون في مجال علم التشكيل الصوتي بين الاصوات في الالفاظ والعبارات، ولا نريد التوسع في ذلك أكثر مما تقتضيه الغاية في توضيح لماهية مصطلح التشكيل الصوتي الدراسات اللغوية بصورة أشمل وسوف تكون فصول الكتاب القادمة الكاشف الوحيد والمبين له.

(١) في علم اللغة العام: ١٠٦.

(٢) عدد خاص عن المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية: بحث مجلة حوليات الجامعة التونسية، (ع ١٤ -

١٩٧٧: ١٧٩.

(٣) الاسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق، د. ماهر مهدي هلال (بحث في مجلة آفاق عربية، (ع ١٢ - ١٩٩٢): ٦٩.

## الفصل الأول

### انماط التشكيل الصوتي في سورة " آل عمران "

#### التكرار:

يُعدُّ التكرار من أبرز مظاهر التشكيل الصوتي في القرآن الكريم، وذلك لما يضيفه من تناسق جمالي يتجلى في الانسجام المنتظم في تكرار الوحدات التركيبية المكوّنة للسياق بأكمله، والتكرار في تشكيل النص هو تناوب مجموعة من الالفاظ في سياقٍ لفظي، بحيث تشكّل نغماً يقصدهُ المنشئ في شعره أو نظمه بأسلوب متقن. إذ يأتي المتكلم باللفظ ثم يعيدهُ بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أم مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده. <sup>(١)</sup> لذا يُعدُّ التكرار من الاساليب الكلامية الشائعة في اللغة العربية، فقد تعرّض لهُ معظم النحاة والبلاغيين، إذ قال في تعريفه الفراء (ت ٢٠٧ هـ): ((والكلمة قد تكرر في العرب على التغليظ والتخويف، فهذا من ذلك)). <sup>(٢)</sup> أي زيادة في وقع الكلمة وتأثيرها فيمن أُطلقت عليه.

أما الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فقد أولى التكرار عنايةً كبيرةً، ونقل بعض أقوال العرب فيه، ومن جملة ما ذكر من ذلك قوله: ((جعل ابن السّمك يوماً يتكلّم، وجارية لهُ حيث تسمع كلامه، فلما أنصرف إليها قال لها: كيف سمعتِ كلامي؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تكثر ترداده. قال: أرددهُ حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: الى أن يفهمه قد ملّه من فهمه)). <sup>(٣)</sup> ثم بين ذلك بقوله في موضع آخر من كتابه: ((وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدٌّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوامّ والخواص. وقد رأينا الله - عز وجل - ردّد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود. وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبيّ غافل، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب)). <sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: المثل السائر: ٢/ ١٢٩، ١٥٧.

(٢) معاني القرآن: ٣/ ٢٨٧ وينظر: ٢/ ٢٣٤

(٣) البيان والتبيين: ١/ ١٠٤

(٤) البيان والتبيين: ١/ ١٠٥

نستخلص من قول الجاحظ هذا أنه يعني (بالترداد) هنا التكرار بعينه، وقد أشار الى كثرة وروده في القرآن الكريم وخاصة في قصص الأولين، لتكون تذكراً من الله سبحانه وتعالى وإثباتاً لحجته على خلقه ليؤمنوا به ويعرضوا عن الكفر.

ولذلك فإن التكرار إذا كان محموداً جاء في الموضوع الذي يقتضيه ودعت إليه الحاجة، وأما إذا كان مذموماً أعيب وأصبح غير مستساغ في الكلام، وخير ممن فرق بين هذين المفهومين الخطابي البستي (ت ٢٨٨ هـ) إذ قال: ((وأما ما عابوه من التكرار فإن تكرّر الكلام على ضربين: أحدهما مذمومٌ وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الاول، لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً، وليس في القرآن شيء من هذا النوع)).<sup>(١)</sup> والضرب الآخر: ((ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن نزل التكرار في الموضوع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه فيه بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة الى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها)).<sup>(٢)</sup>

والى هذا ذهب أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، في وصف ظاهرة التكرار، إذ يرى أن التكرار والاعادة سنّة من سنن العرب اعتمدها في أغراضهم الادبية، إرادة منهم الى غرض الابلاغ وذلك حسب متطلبات الامر والعناية به على وجه الخصوص.<sup>(٣)</sup>

وقد تمثل لذلك بما جاء في كتاب الله جل ثناؤه في قوله تعالى: ((فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)). وقد أولى ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) ظاهرة التكرار أهمية كبيرة في كتابه العمدة، حيث وصف المواضع التي يحسن فيها التكرار والمواضع التي يقبح فيها، إذ يرى أن هناك عدّة مواضع يحسن فيها التكرار، وهي أن يقع التكرار في الالفاظ دون معانيها، ولذلك يكون في المعاني أقل دون الالفاظ.

وأما المواضع التي يقبح فيها، فهي عندما تتكرّر الالفاظ والمعاني جميعاً في سياق واحد.<sup>(٤)</sup>

(١) بيان اعجاز القرآن: ٤٧-٤٨، (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).

(٢) المصدر نفسه: ٤٨: ٣٠ ينظر: الصاحبى في فقه اللغة: ٧٧.

(٣) سورة الرحمن: ٥٥ / ١٦.

(٤) ينظر: العمدة: ٢ / ٧٣-٧٤

ونجدُ أن ابن رشيق قد عرَّج في موضع آخر من كتابه على هذه الظاهرة المهمة، مبيناً الاغراض التي يجب أن يكرَّر فيها الشاعر اسماً معيناً أو مكاناً بحدِّ ذاته، وذلك يحصلُ على جهة التشوق والاستعذاب، كما في اغراض النسيب والغزل والرتاء، وقد مثَّل لذلك بقول امرئ القيس: <sup>(١)</sup>

ديارٌ لَسَلَمَى عافياتٌ بذي خالٍ	ألحَّ عليها كلُّ أسْحَمَ هَطَالٍ
وتحسُّبُ سَلَمَى لا تَزَالُ كَعَهْدِنَا	بوادِي الخِزَامِي أو على رَأْس أو عالٍ
وتحسُّبُ سَلَمَى لا تَزَالُ ترى طِلا	من الوحش أو بيضاء بميثاء محلالٍ
ليالي سَلَمَى إذ تريك منضدا	وجيداً كجيد الريم ليس بمعطلٍ

ونجدُ هنا قد تكرَّرت لفظة (سلمى) أربع مرات دلالة على التشوق والاستعذاب الذي بيديه الشاعر تجاه معشوقته (سلمى) من خلال مناجاة الديار الخالية منها، سوى بعض الآثار هنا وهناك، وقد جاء التكرار هنا زيادة للتوكيد وتجديد العهد القديم بين الحبيبين.

أما ابن أبي الأصبغ المصري (ت ٦٥٤ هـ) فقد ذكر المواضع التي يأتي فيها التكرار في الكلام العربي الفصيح، إذ يقول: ((منها ما جاء للمدح، ومنها ما جاء للوعيد والتهديد، ومنها ما جاء للاستبعاد)). <sup>(٢)</sup> ومن المحدثين الدكتور حنفي محمد شرف، فقد بين أثر التكرار في تطابق اللفظ مع المعنى عند المتقدمين قائلاً: ((قد يكون التطابق في اللفظ والمعنى كما في صور التكرار أو التكرير، كما عُرِفَ عند المتقدمين، والتكرار هو إعادة اللفظة أو التركيب مرّة أخرى بلفظه ومعناه)). <sup>(٣)</sup> أي أن التكرار تقريرٌ لانتظام الالفاظ وحُسنها في النسق الصوتي.

#### أغراض التكرار في القرآن الكريم:

يدخل التكرار ضمن فنون البديع البلاغة العربية، لما له من أثر في زيادة التناسق الصوتي بين الالفاظ في النصِّ القرآني. مما يخلُق تناسقاً واضح الاثر فيما بينها، بعيداً عن الزيادة والنقص المُخلِّين بالمعنى العام له.

وقد يحتاج التكرار الى الإطالة في بعض الاحيان، ومما روى أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) من ذلك، قوله: ((لابي عمرو ابن العلاء: هل كانت العرب تُطيل؟ قال نعم، كانت تُطيل لئُسمع منها، وتُوجز لئُحفظ عنها)). <sup>(٤)</sup> ويبين العسكري في معرض قوله الطريقة التي يُخاطب بها الله تعالى عباده من العرب والاعراب، إذ يقول: ((وقد رأينا الله تعالى إذا خاطب العرب

(١) ينظر: العمدة: ٢/ ٧٤.

(٢) بديع القرآن: ١٥١.

(٣) التصوير البياني: ٢٨٤.

(٤) كتاب الصناعيتين: ١٩٢.

والاعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي، وإذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً، فمما خاطب بني اسرائيل قوله سبحانه وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ وَإِنْ يَسْأَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ))<sup>(١)</sup>، (...)، وقل مانجد قصة لبني اسرائيل في القرآن لإمطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة، لبعده فهمهم كان، وتأخر معرفتهم))<sup>(٢)</sup>.

أي ان التكرار في القرآن الكريم، ظاهرة أسلوبية، تأتي ترسيخاً وتقريراً وإقناعاً للأقوام التي يخاطبها. ويُعدّ هذا الأسلوب من الأساليب المؤثرة في الاستدلال النفسي وأدعاها الى اليقين.<sup>(٣)</sup> لذا إن: ((ورود التكرار في القرآن الكريم قد خاطب العرب بما يألّفون من الأساليب، وبكلامٍ يدركون مواقعهم ومراميه))<sup>(٤)</sup>.

نستنتج مما تقدم أن التكرار في الأسلوب القرآني يتم عن طريق تكرار عدة أصواتٍ أو مجموعة من الالفاظ والعبارات في الآية القرآنية أو السورة بأكملها. يتم عنه تناسقٌ جماليٌّ في آيات القرآن، ممّا يؤدي الى إبراز معنى النصّ القرآني، لِيُساعد في زيادة وقعه في ذهن المتلقّي له ومن الاغراض المهمة التي خرج إليها التكرار في النصّ القرآني هو " التوكيد "<sup>(٥)</sup>، كقوله تعالى ((كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ))<sup>(٦)</sup>. نجدُه سبحانه وتعالى قد كرّر قوله بواسطة (ثُمَّ) دلالةً على ان الانذار الثاني سيكون أبلغ وأشدّ من الاول وذلك لزيادة التفكير والامعان في قدرته سبحانه وتعالى.

ومنه أيضاً زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقّي الكلام بالقبول.<sup>(٧)</sup> كما في قوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ دُنْيَا مَتَاعٌ))<sup>(٨)</sup>. فان الله تعالى قد كرّر صيغة النداء مرتين وهي (يَا قَوْمِ) حتى يستتمّ المطلوب من قوله وهو اتباع رسوله المبعوث من هؤلاء القوم الجبارين العتاة.

(١) سورة الحج: ٢٢ / ٧٣.

(٢) الصناعتين: ١٩٣.

(٣) ينظر: الأعجاز البياني في كتاب العربية الاكبر، د. عائشة عبد الرحمن الشاطيء، (بحث في مجلة مجمع اللغة العربية)، القاهرة: ٢٠٦ / ١٢.

(٤) جرس الالفاظ ودلالاتها (د. ماهر مهدي هلال): ٢٤٠.

(٥) الصناعتين: ١٩٣.

(٦) سورة التكاثر: ١٠٢ / ٤-٣.

(٧) ينظر: التصوير البياني: ٢٨٤.

(٨) سورة المؤمن: ٤٠ / ٤-٣٨ - ٣٩.

وقد يكون الغرض من التكرار خشية إطالة الكلام وتناسي الاول منه، وحينذاك يُعمد الى إعادة الثاني تأكيداً له وتجديداً لوجوده. <sup>(١)</sup> كقوله تعالى: ((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)). <sup>(٢)</sup> حيث الجزء الثاني من الآية الكريمة تجديداً وتوكيداً لما جاء في مقدمتها، وبياناً لقدرته سبحانه وتعالى على إصلاح شأن خلقه واستقامتهم.

ومن الاغراض الاخرى التي يخرج إليها التكرار الوعيد والتهويل. <sup>(٣)</sup> كقوله تعالى: ((الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ)). <sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ((الْقَارِعَةُ \* مَا الْقَارِعَةُ)). <sup>(٥)</sup> ومنه ما جاء للتهديد. <sup>(٦)</sup> كما في قوله تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)). <sup>(٧)</sup> وكذلك قوله تعالى: ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ \* ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ)). <sup>(٨)</sup> ويخرج التكرار كذلك الوعيد والتعجب. <sup>(٩)</sup> كما في قوله تعالى ((فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ \* ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرٍ)). <sup>(١٠)</sup> فأعاد الله تعالى قوله بصيغة التعجب والوعيد بالقتل جزاء هذا العمل الشيطاني، وذلك لإصابة الغرض المطلوب من الآية الكريمة؟  
ومما خرج التكرار لأجله "التعدد". <sup>(١١)</sup> وذلك لتعلق الآية الثانية بالأولى كما في قوله تعالى: ((فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمُ تُكذِّبَانِ)). <sup>(١٢)</sup> فقد كرر سبحانه وتعالى هذه الآية في سورة الرحمن لتعلقها كل مرة بما قبلها.

(١) ينظر: التصوير البياني: ٢٨٤

(٢) سورة النحل: ١٦ / ١١٩.

(٣) ينظر: بديع القرآن: ١٥١.

(٤) سورة الحاقة: ٦٩ / ٢-١

(٥) سورة القارعة: ١٠١ / ٢-١

(٦) ينظر: بديع القرآن: ١٥١.

(٧) سورة القدر: ٩٧ / ٢-١.

(٨) سورة الانفطار: ٨٢ / ١٧ - ١٧.

(٩) ينظر: بديع القرآن: ١٥١.

(١٠) سورة المدثر: ٧٤ / ١٩ - ٢٠.

(١١) الصناعتين: ١٩٤.

(١٢) سورة الرحمن: ٥٥ / ١٦.

وأما ما جاء منه في المركبات " كالمذح " .<sup>(١)</sup> قوله تعالى: ((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا)).<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)).<sup>(٣)</sup>

ومما يخرج منه أيضاً " الاستبعاد " .<sup>(٤)</sup> كقوله تعالى: ((هِيَ هَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)).<sup>(٥)</sup> هذه هي أبرز الاغراض التي خرج اليها التكرار في القرآن الكريم بصورة عامة، مما يدل على أهمية التكرار في تشكيل النسق الصوتي للقرآن الكريم وما يخرج عن ذلك التشكيل معانٍ دلالية واضحة الأثر في تردد الالفاظ وانسجامها مع بعضها في هذا النسق الجمالي.

مستويات التكرار في سورة آل عمران:

إن لأسلوب التكرار في الالفاظ أو العبارات أثراً في بناء النسق الصوتي للقرآن الكريم، وذلك لما يضيفه من دلالات واضحة الاثر في السياق الذي ترد فيه لإظهار المعنى العام للنص للقرآني أي: ((ان القرآن الكريم قد اعتنى بهندسة الصوت ليوصل مضامينه في تراكيب يشعر السامع بأن لها حلاوة، وأن عليها الطلاوة، لأن ذلك التشكيل قد أعطى أي الذكر الحكيم موسيقية لا يمكنها الاستقلال من اتساق النحو والدلالة، مما يجعل التغيير الصوتي ليس محلاً بموسيقية التركيب وحدها، وإنما بأنظمة البناء جميعاً)).<sup>(٦)</sup> لذلك يتمتع القرآن الكريم ببناء صوتي متميز مرتكز على نظام خاص به.

ومما أنفرد به القرآن الكريم وباين سائر الكلام: ((أنه لا يُخلق على كثرة الردّ وطول التكرار، ولا تُملّ منه الاعادة، وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح فلم تخلُ بأدائه، رأيته غصّاً طرياً، وجديداً موقناً، وصادفت من نفسك له نشاطاً مستأنفاً وحساً موقوراً)).<sup>(٧)</sup> والذي يميّز هذه الصفة للقرآن الكريم، إنّه: ((يستوي في أصله العالم الذي يتذوق الحروف ويستمرىء تركيبها ويؤمن في لذّة نفسه من ذلك، والجاهل الذي لا يقرأ ولا يثبت معه من الكلام إلاّ أصوات الحروف وما يميزه من اجراسها على مقدار ما يكون من صفاء حسه ورقّة نفسه (...). بخصائصه الموسيقية، وتساوق هذه الحروف على أصولٍ مضبوطة من بلاغة النغم، بالهمس والجره والقلقة

(١) بدیع القرآن: ١٥١.

(٢) سورة المائدة: ٥ / ٩٣.

(٣) سورة الواقعة: ٥٦ / ١٠ - ١١.

(٤) بدیع القرآن: ١٥١.

(٥) سورة المؤمنین: ٢٣ / ٣٦.

(٦) دلالة الاتساق النبائية في التركيب القرآني (رسالة دكتوراه): ٢٩.

(٧) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية (د. مصطفى صادق الرافعي): ٢٤٧.

والصغير والمد والغنة ونحوها، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطاً وإيجازاً وابتداءً ورداً وافراداً وتكريراً<sup>(١)</sup>. وهناك ثلاثة مستويات من التكرار تدخل في تركيب آيات سورة آل عمران هي:

## ١- التكرار على مستوى الصوت المفرد:

ويراد فيه أن ترد أو تتكرر عدة أصوات ذات طبيعة متماثلة في اللفظة أو العبارة في الآية القرآنية، مما ينتج عن ذلك التكرار عدة وظائف دلالية تؤدي الى اتساق المعنى ضمن سياق النص القرآني بأكمله، ولذلك يتميز الأسلوب القريني بتنظيم صوتي عالٍ من خلال ترتيب الاصوات وعدم تناورها - مما يخلق بينها وحدة عضوية تركيبية تساعد على اظهار المعنى المطلوب.

ومثال ما جاء منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ لَنَسُوا سَوَاءً مِمَّنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ))<sup>(٢)</sup>.

لقد تكرر صوت النون هنا أكثر من غيره من الأصوات في سور القرآن الكريم، وهو: ((صوتٌ مجهورٌ متوسطٌ بين الشدة والرخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محرّكاً الوترين الصوتين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، حتى إذا وصل الى الحلق هبط أقصى الحنك الاعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يُسمع))<sup>(٣)</sup>.

ونجد أن النون قد تكررت في فواصل سورة آل عمران بنسبة كبيرة على باقي الأصوات الأخرى فيها، إذ بلغت حوالي (١١٩) مرة، ناهيك عن ورودها في ثنايا الفاظ الآيات وتعد النون من الأصوات ذات الوضوح السمعي العالي وخاصة إذا جاءت مسبوقه بحروف المد واللين التي هي (الالف والواو والياء) ذات التردد السمعي العالي جداً، فضلاً عما تتمتع به من رنين شجي ومؤثر، وبإجماع هذه العوامل، يضيفي تكرارها على آيات سورة آل عمران اتساقاً موسيقياً هادئاً، يسهم في إبراز معاني الفاظها. كما في الالفاظ التي وردت في الآيات المتقدمة الذكر وهي (يتلون، ويسجدون، ويؤمنون، ويأمرون، وينهون ويسارعون، والصالحين).

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١١٢-١١٣-١١٤.

(٣) الاصوات اللغوية: ٦٦.

وقد ينجح الاتساق اللفظي الموسيقي في تكرار النون الى الشدة والعنف والاضطراب كما في الالفاظ (يكفرون، ويقتلون، ويعتدون). لذا يُعدّ تكرار صوت النون من السمات المميزة للتركيب القرآني لما تضيفه عليه من طابع ايقاعي متميز.

ومما ورد أيضاً في سورة آل عمران من تكرار صوتي، هو تكرار صوت (الميم) كما في قوله تعالى: ((ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)).<sup>(١)</sup>

فالميم هنا: ((صوتٌ مجهورٌ لا هو بالشديد ولا بالرخو، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة. ويتكون هذا الصوت بأن يمرّ الهواء بالحنجرة أولاً فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه الى الفم هبط أقصى الحنك، فسد مجرى الفم فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الانفي، محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يُسمع)).<sup>(٢)</sup> لذا نجدُه هنا قد تكرر في الآيات المتقدمة وخصوصاً في الصفات والاسماء معاً وهي (عليم، والعليم، والسميع، ومريم، والرجيم). ومما زاد الميم وضوحاً سمعياً وموسيقياً بأصوات المدّ الطويلة (كالياء) الذي يساعد على ابراز المعنى الدلالي لهذه الصفات والاسماء الدالة على رحمة الله وحلمه في معاملة عباده.

ومثال ما تكرر أيضاً من الاصوات في سورة آل عمران، وهو صوت السين الصغيرة المهموسة، كما في قوله تعالى: ((إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)).<sup>(٣)</sup>

إن السين هنا: ((صوتٌ اسنانيٌّ لثويٌّ رخوٌ مهموسٌ مُرَقَّقٌ، يُنطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان السفلى، ومقدمة بحيث يلتصق باللثة، مع رفع الطبقة بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الانفي في طريق الهواء الخارج من الرئتين، ثمَّ خفض مؤخر اللسان وفتح الاوتار الصوتية في وضع التنفس المهموس)).<sup>(٤)</sup> حيث نجد هنا ان السياق الصوتي للآية القرآنية قد مال الى الهدوء والسكينة، وذلك لتكرار صوت السين المهموسة ذات التردد السمعي المنخفض نسبياً، وخصوصاً في الالفاظ (تمسكم - وحسنة - وتسؤهم - وسيئة). كما ساعد التشكيل الصوتي المنتظم على اظهار دلالة هذه الالفاظ المتمثلة بحلم الله تعالى ورحمته ورأفته بخلقه.

(١) سورة آل عمران: ٣٤-٣٥-٣٦.

(٢) الاصوات اللغوية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران: ٣/ ١٢٠.

(٤) مناهج البحث في اللغة: ١٢٨.

ومن الاصوات التي تكررت في سورة آل عمران أيضاً صوت (الكاف) الشديدة المهموسة المرققة، كما في قوله تعالى: ((إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَلِّينَ)).<sup>(١)</sup> فالكاف هنا: ((صوتٌ شديدٌ مهموسٌ مُرَقَّقٌ، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبقة، وإصاقه به، وإصاق الطبقة بالحائط الخلفي للحلق، ليسد المجرى الانفي، مع إهمال الاوتار الصوتية وعدم اهترازها)).<sup>(٢)</sup> حيث نجد هنا أنّ النسق الصوتي للآية الكريمة قد جنح الى القوّة والشدّة، من خلال تكرار الكاف الشديدة المهموسة، فضلاً عن مجاورتها لبعض الاصوات التي تحمل صفة الشدة نفسها (كالياء، والذال، والباء)، وخاصة في الالفاظ (يكفيكم - يمدكم - ربكم - الملائكة)، مما ساعد على اظهار المعنى المتمثل بقوة الله سبحانه وتعالى على إكفاء المؤمنين وهم قلة صابرة شرّ المشركين بقوته الالهية وقدرته سبحانه وتعالى على إكفاءهم من شرّ كيدهم، دلالةً منه على شدة بأسه وبطشه بهم.

## ٢- التكرار على مستوى الكلمة أو اللفظة:

ويُراد فيه تكرار اللفظة عدّة مرات في نسق الآية القرآنية، ليس الغرض من ذلك مجانسة هذه الالفاظ مع بعضها، ولكن المشابهة فيما بينها، وهذا: ((الضربُ من التكرار هو الذي يفيد تقوية النغم في الكلام)).<sup>(٣)</sup> مما يساعد على انتظام الطابع الموسيقي للنص القرآني وإظهار نواحيه الجمالية التي تنم عن دلالاتٍ معنوية مؤثرة في الذات البشرية.

أي أنّ الهدف من تكرار اللفظة في النص القرآني هو لقوة التأثير في عقول السامعين والقارئین وزيادة وقعه في قلوبهم، لذلك عمد القرآن الى هذا الاسلوب من التكرار في الالفاظ.<sup>(٤)</sup> ويكون هذا النوع من التكرار في الالفاظ المفردة له عدّة اوجه، كأن يكون في الافعال والاسماء، والصيغ الاخرى كحروف الجر والنفي والاستفهام.

ومثال ما جاء منه في سورة آل عمران، وفي الافعال خاصة، قوله تعالى: ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ)).<sup>(٥)</sup> فقد جاء التكرار هنا بالمفردات

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٢٤.

(٢) المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (د. رمضان عبد التواب): ٥٣.

(٣) جرس الالفاظ ودلالاتها: ٢٣٩.

(٤) ينظر: عصر القرآن (د. محمد مهدي البصير): ٢٠.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ٤-٣.

بصيغتي الفعل (نَزَلَ، وَأَنْزَلَ)، والفرق بينهما كما يرى الزمخشري (ت ٥٥٤ هـ): ((ان القرآن نزل مُنْجَمًا، ونزل الكتابان جملة)).<sup>(١)</sup>

أي التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام. وكذلك ان الكتابين قد نزلا دفعة واحدة، على عكس القرآن الكريم الذي أنزل منجماً أي بشكل دفعات على النبي محمد (ص)، ومنه أيضاً قوله تعالى: ((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)).<sup>(٢)</sup>

فقد تكرر هنا الفعل الماضي الناقص (كان) المسبوق بـ (ما) النافية، دلالةً على نفي الله تعالى أن يكون ابراهيم عليه السلام على دين اليهود أو النصارى لإشراكهم به عزيزاً والمسيح – عليه السلام –.<sup>(٣)</sup>

ومما جاء بصيغة الفعل أيضاً قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)).<sup>(٤)</sup> فقد تكرر الفعل (يَقْتُلُونَ)، دلالةً على ما فعله أهل الكتاب لقتلهم رسولهم بغير الحق وقتلهم اتباعهم كذلك. وسعيهم الخبيث لقتل رسول الله (ص) والمؤمنين لولا أن عصمه الله من شر كيدهم.<sup>(٥)</sup>

أما فيما يخص ما تكرر من الاسماء في سورة آل عمران، فقد جاء في قوله تعالى: ((فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)).<sup>(٦)</sup> لقد تكررت هنا لفظة اسم الجلالة (الله) سبحانه وتعالى دلالةً على نصره لعيسى – عليه السلام – وإيمان الحواريين به، ما هو إلا دلالة على الانتصار لدينه ورسوله، وذلك حدث: ((لما وجد عيسى من بني اسرائيل الذين أرسله الله اليهم جحوداً لنبوته، وتكذيباً لقوله، وصدأ عمّا دعاهم إليه من أمر الله، قال: (من انصاري الى الله) يعني بذلك: قال عيسى: من أعواني على المكذبين بحجة الله، والمولّين عن دينه، والجاحدين بنبوّة نبيه الى الله عزّوجلّ)).<sup>(٧)</sup>

وما تكرر من الاسماء أيضاً، قوله تعالى: ((كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فَقُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).<sup>(٨)</sup> فقد تكررت لفظة

(١) الكشف: ١/ ٣٣٦.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٦٧.

(٣) ينظر الكشف: ١/ ٣٧١.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ٢١.

(٥) ينظر: الكشف ١/ ٣٤٧.

(٦) سورة آل عمران: ٣/ ٥٢.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٣/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٨) سورة آل عمران: ٣/ ٩٣.

(اسرائيل)، مرتين، وهي دلالة واضحة على اسم آخر وهو (يعقوب) عليه السلام الذي حرم على نفسه لحوم الإبل والبانها، وقيل عروقتها، لأنه كان مريض بعرق النساء، إذا شُفي من مرضه. <sup>(١)</sup>

ومنه أيضاً قوله تعالى: ((إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)). <sup>(٢)</sup> نجد هنا أن لفظة (مريم) وهي اسم قد تكررت مرتين، دلالة من الله سبحانه وتعالى على إثبات انتساب عيسى لمريم لأنه ولد من غير أب فلا يُنسبُ إلا إلى أمه، وبذلك فضلت على غيرها واصطفيت على نساء العالمين. <sup>(٣)</sup>

ومثال ما تكرّر في سورة آل عمران من حروف الجر والادوات، قوله تعالى: ((قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)). <sup>(٤)</sup> فقد تكرّر حرف الجر (في) ثلاث مرات في سياق الآية الكريمة دلالة على العبرة والتبصّر في قدره سبحانه وتعالى على إنزال أقصى العذاب بهؤلاء المشركين.

ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)). <sup>(٥)</sup> لقد تكرّرت هنا (لا النافية) مرتين، دلالة على عدم خفاء أي شيء عن خالقة لأنه هو الذي اوجده في هذا الكون الواسع. أي انه يعني بذلك جل ثناؤه: ((إن الله لا يخفى عليه شيء هو في الارض، ولا شيء وهو في السماء، يقول: فكيف يخفى عليّ يا محمد، وأنا علام جميع الاشياء، ما يضاهاه به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله، من نصارى نجران في عيسى ابن مريم، في مقاتلهم التي يقولونها فيه)). <sup>(٦)</sup> وقد كثر هذا النوع من التكرار في ثنايا آيات سورة آل عمران بنسب كبيرة جداً، وهذا يدل على انسجام البنية التركيبية لهذه السورة خلال آياتها مع تنوع فواصلها، وذلك زيادة في تناسق المعنى الدلالي لمفرداتها.

(١) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٨٥.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٤٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٦٣.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٣.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ٥.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ١٦٨.

### ٣- التكرار على مستوى العبارة أو الجملة:

يتميز هذا النوع من التكرار بأنه أوسع وأعمّ من النوعين السابقين لما له من تأثير في تنظيم النسق التركيبي للآية القرآنية والسورة بأكملها من خلال تكرار العبارة مرّة أو مرتين داخل نسق الآية نفسها أو في الآيات اللاحقة لها، مما يخلق تشكيلاً صوتياً يضفي على النص القرآني طابعاً جمالياً موسيقياً ذا دلالات قوية التأثير في الاذن المتلقية. وقد تنبّه الى ظاهرة تكرار العبارة في النص القرآني عددٌ من علماء اللغة العرب، نخصّ منهم السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، حيث ركّز على دور التكرار في عادة اللفظ أو العبارة عدّة مرات في النص القرآني أو الشعري على حدّ سواء، إذ يقول: ((انّ نحو فبأي آلاء ربكما تكذبان، وويلّ يومئذ للمكذّبين، فمذهوبٌ به مذهب رديف يُعاد في القصيدة مع كلّ بيت، أو مذهب ترجيع القصيدة يُعاد بعينه مع عدّة أبيات، أو ترجيع الأذكار، وعائب الرديف أو الترجيع، أما دخيل في صناعة تفنن الكلام، أو ما وقف بعد على لطائف أفانينه)).<sup>(١)</sup>

ومنهم كذلك ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) في مثله السائر، حيث يرى أنّ لتكرار العبارة في البيئة القرينية وقعاً كبيراً في زيادة الدلالة المعنوية لتلك الآية، وقد ضربَ لذلك مثلاً، قوله تعالى: ((فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ \* وَلَقَدْ يَسْرَتْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)).<sup>(٢)</sup> إذ قال أنّه: ((قد تكرّر ذلك في السورة كثيراً وفائدته ان يجددوا عند استماع كلّ نبأ من انباء الاولين اذكاراً وايقاظاً، وان يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحثّ على ذلك، والبعث إليه، وان تُقرع لهم العصا مرّات لثلاً يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن (فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبان) وذلك عند كلّ نعمة عدّدها على عباده)).<sup>(٣)</sup>

ومثال ماورد في سورة آل عمران، قوله تعالى: ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)).<sup>(٤)</sup> أي أنّ الله سبحانه وتعالى قد كرّر في هذه الآية الكريمة عبارة ((إِلَهَ إِلَّا هُوَ)) مرّتين، مما يفيد دلالةً لفظيةً هي: ((انّ الأول جرى مجرى الشهادة، وإعادة ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود)).<sup>(٥)</sup> أي الملائكة واولوا العلم من المؤمنين أنّه قائمٌ بذاته جلّ شأنه.

(١) مفتاح العلوم: ٢٨.

(٢) سورة القمر: ٥٤/٣٩-٤٠.

(٣) المثل السائر: ١٥/٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٨/٣.

(٥) اسرار التكرار في القرآن (محمد بن حمزة الكرمانى، ت ٥٠٠ هـ): ٤٧. وينظر: الكشف: ١/٣٤٣.

وماورد منه أيضاً قوله تعالى: ((قُلِ اللَّهْمَّ مَا لِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِبَيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).<sup>(١)</sup> فقد كرر سبحانه وتعالى عبارة ((مَنْ تَشَاءُ))، دلالة على أن كلامه قد: ((وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكره الكفرة، فقال بيدك الخير تؤتيه اولئك على رغم من أعدائك)).<sup>(٢)</sup>

ومنه ما تكررت فيه العبارة أيضاً قوله تعالى: ((تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)).<sup>(٣)</sup> وفي هذه العبارات دلالات منها: ((ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب مَنْ يشاء من عباده... الخ)).<sup>(٤)</sup>

ومما ورد منه أيضاً قوله تعالى: ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)).<sup>(٥)</sup> وفي تكرار هذه العبارات دلالات مؤثرة، هي من: ((كان من أهل الحق وَبِسْمِ بياض اللون واسفاره واشراقه، وبيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه. ومن كان من اهل ظلمة الباطل وَبِسْمِ بسواد اللون وكسوفه وكمدته، واسودت صحيفته واطلمت، واحاطت به الظلمة من كل جانب)).<sup>(٦)</sup>

وقد كثر تكرار العبارات في ثنايا سورة آل عمران، وذلك لما تتمتع به من طول آياتها وفواصلها، مما ساعد على اظهار مشاهدتها بصورة مؤثرة واعتدال نسقها الصوتي، واطهار دلالاته بصورة أوضح.

ولا يقتصر وجود التكرار على السور الطوال في القرآن الكريم، وانما يتركز وجوده على السور القصار بصورة كبيرة أيضاً، مما يضيفي على نسقه الصوتي من خلال تكرار عدة أصوات أو مجموعة الفاظ وعبارات أسلوبياً جمالياً غايةً في الحسن والتنوع في وقعه الدلالي بصورة أشمل.

(١) سورة آل عمران: ٢٦/٣.

(٢) الكشاف: ٣٥٠/١. وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٢٢/٣.

(٣) سورة آل عمران: ٢٧/٣.

(٤) الكشاف: ٣٥٠/١.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٧/٣.

(٦) الكشاف: ٣٩٩/١.

## التجنيس:

يعدُّ التجنيس من أهم فنون البديع في البلاغة العربية، لما له من أثرٍ في زيادة تناسق الالفاظ في النص الشعري أو النثري بصورة عامة. ويأتي هذا التناسق من خلال تساوي عدد الالفاظ في النص أو في عدد حروفها المشكلة منها أو البعض منها، وإن اختلفت في محتواها الصوتي ودلالاتها السياقية.

والتجنيس هو من وزن تفعيل من الجنس، والتجنيس مصدر جنس، لأنَّ فَعَّلَ مصدره التفعيل، كما يقول سلّم تسليماً. ومنهم من يعدُّ المجانسة هي المفاعلة من الجنس أيضاً، لأنَّ إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى فقد وقع بينهما مفاعلة في الجنسية. ومنهم من يطلق عليه: التجانس وهو التفاعل من الجنس أيضاً لأنَّه مصدر من تَجَانَسَ الشيطان إذا اجتمعاً في جنس واحد. (١) أي ان: ((جوهر التجنيس اساساً يقوم على هذا الاشتراك اللفظي، فالتجنيس اذن ضربٌ من ضروب التكرار، ونسلكه فيما يراد بالتكرار من تقوية نغمية لجرس الالفاظ)). (٢) لذا فقد ذهب علماء اللغة والبلاغة في تعريفه وتقسيمه مذاهب شتى، لكنها في الأخير تُجمع عن وجود التجنيس كحقيقة واقعة في اللغة - ومن هؤلاء ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)، فقد قال في تعريف التجنيس: ((وهو أن تجيء الكلمة تُجانسُ أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الاصمعي كتاب الاجناس عليها. وفأل الخليل الجنس لكل ضرب من الناس والطيور والعروض والنحو فمَنهُ ما تكون الكلمة تجانسُ أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتم منها)). (٣) وقد ذكر في ذلك قول الشاعر: (٤)

يَوْمَ حَجَلْتُ عَلَى الْخَلِيجِ نَفْوُسُهُمْ      عَصَباً وَأَنْتَ لِمِثْلِهَا مُسْتَأْمٌ

ومما يتضح هنا ان ابن المعتز قد ذكر كتاب الاصمعي (الاجناس)، دلالة على وجود التجنيس في العربية بوصفه فناً من فنونها البلاغية. واستشهد بكلام الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) على ذلك زيادة في الحجّة التي طرحها، وبيان للتجنيس بوصفه فناً بلاغياً شائع الاستعمال.

وقد تابع ابن المعتز في ذلك أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، فقد حدد معنى التجنيس في: ((ان يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتهما في تأليف حروفها، (...))، فمَنهُ ما

(١) ينظر: جنان الجناس: ٩.

(٢) جرس الالفاظ ودلالاتها: ٢٧٠.

(٣) كتاب البديع: ٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢٥.

تكون الكلمة تجانسُ الاخرى لفظاً واشتقاق معني).<sup>(١)</sup> وتمثل لذلك بالبيت الشعري الذي ذكره ابن المعتز في وصف هذه الظاهرة البديعة.

أما الرماني (ت ٣٨٦ هـ)، فقد حدّد التجنيس بأنّه: ((بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة، والتجانس على وجهين: مزوجة ومناسبة، فالمزوجة تقع في الجزاء، كقوله تعالى: ((فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ)).<sup>(٢)</sup> أي جاوزه بما يستحق على طريق العدل، إلاّ أنّه استُعيرَ للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان)).<sup>(٣)</sup> ويضيف الرماني موضعاً ذلك بقوله: ((والعرب تقول: الجزاء بالجزاء، والاول ليس بجزاء، وانما هو على مزوجة الكلام، (...))، والاستعارة للثاني أولى من الاستعارة للأول لأن الثاني يُحتذى فيه على مثال الأول في الاستحقاق، فالأول بمنزلة الأصل والثاني بمنزلة الفرع الذي يُحتذى فيه على الأصل، فلذلك نصّت منزلة قولهم: الجزاء بالجزاء، عن الاستعارة بمزوجة الكلام في القرآن)).<sup>(٤)</sup>

وقد وصفَ الرماني كذلك النوع الثاني من أنواع الجناس وهو المناسبة: ((وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع الى أصل واحد. فمن ذلك قوله تعالى: ((ثُمَّ انصَرَفُوا؛ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)).<sup>(٥)</sup> فجوّنس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والاصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أمّا هم فذهبوا عن الذكر وأمّا قلوبهم فذهب عنها الخير.<sup>(٦)</sup> ويعدّ الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) التجنيس: ((أن تأتي بكلمتين متجانستين، فمنه ما تكون الكلمة تُجناس الاخرى في تأليف حروفها واليه ذهب الخليل، ومنهم من زعم أن المجانسة ان تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق)).<sup>(٧)</sup> وتمثل له بقوله تعالى: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ)).<sup>(٨)</sup> وأما ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) فقد عدّ التناسب بين الالفاظ أو اشتقاق بعض الالفاظ من بعض بأنّه الجناس، إذ قال: ((ومن التناسب بين الالفاظ المجانس، وهو أن يكون بعض الالفاظ مشتقاً من بعض إن كان معناهما واحداً، أو بمنزلة المشتق إن كان معناها مختلفاً، أو تتوافق

(١) كتاب الصناعتين: ٣٢١.

(٢) سورة البقرة: ١٩٤/٢.

(٣) النكت في اعجاز القرآن: ٩١، (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن). وينظر بديع القرآن: ٢٧-٢٨.

(٤) النكت في اعجاز القرآن: ٩١-٩٢، وينظر: الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية (الصنعاني): ١٢٨.

(٥) سورة التوبة: ١٢٧/٩.

(٦) النكت في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن): ٩٢، وينظر: الرسالة العسجدية: ١٣٠.

(٧) اعجاز القرآن: ٩٧.

(٨) سورة الروم: ٣٠/٤٣.

صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى)).<sup>(١)</sup> أي انه يعدّ الاشتقاق بين الالفاظ أساساً للتجنيس واختلاف المعاني.

وقد بيّن ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) حقيقة التجنيس بقوله: ((وحيقته ان يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً)).<sup>(٢)</sup> وعلى هذا يكون هو اللفظ المشترك، وماعداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء. وهذا يجيب بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥ هـ) صاحب الطراز، فقد وصف الجناس: ((ان تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معنهما)).<sup>(٣)</sup> وقد يكون التناسق في الحروف، ولكن معنهما مختلف ويعتمد على الصورة المستخدمة فيها.

وهذه هي أبرز الآراء التي ذهب اليها علماء اللغة من قدماء ومحدثين في تعريف التجنيس بصورة عامة. مما يدلّ على أهمية فن التجنيس في تشكيل النسق الصوتي للنص الادبي، وما يخرج عن ذلك التشكيل من وظائف دلالية تُسهم في اعتدال الالفاظ وانسجامها مع بعضها في وحدة عضوية متكاملة.

---

(١) سر الفصاحة: ١٨٥.

(٢) المثل السائر: ١/٣٤٢.

(٣) الطراز: ٢/٣٥٦.

## حسن الجناس في انتظام الكلام:

إنّ الجناس لكي يكون حسناً، لا بدّ من توفر جميع الشروط التي وضعها البلاغيين له، فالبلاغيين يرون في هذا المحسن البديعي توضيحاً وجمالاً موسيقياً تطرب له الأذن، وآتة كالحلّي يروق منها القليل الذي يأتي في الكلام، إذا استدعاه المعنى، فالجناس: ((من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلاً إلى الاصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساعة، فتجد من النفس القبول، وتتأثر به أيّ تأثير وتقع من القلب أحسن موقع)).<sup>(١)</sup> ونجد ذلك ونحسّه في قوله تعالى في وصف حال الكفار يوم القيامة: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)).<sup>(٢)</sup>

وخير من وصف الجناس عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، فيرى في حسن التجنيس ان يضع الاديب أو الشاعر نصب عينه مسألة المعنى أولاً الذي يريد أن يضعه في عبارته، فيقول في ذلك: ((أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً، أترك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله: ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظَّنُونُ أَمْذَهَبُ أَمْ مَذْهَبُ.<sup>(٣)</sup>

((واستحسن تجنيس القائل (حتى نجا من خوفه ومانجا)، لأمر يرجع الى اللفظ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني، ورأيتك لم يزدك بمذهبٌ ومذهبٌ على ان أسمعك حروفاً مكررة، تروم لها الفائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكورة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظ كأنه يخذلك عن الفائدة وقد أعطاها)).<sup>(٤)</sup>

وقد بين في موضع آخر من كتابه فضيلة التجنيس في بيان معنى اللفظ، إذ قال: ((فقد تبين لك ان ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمرٌ لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن، ولما وجد فيه معيب مستهجن، لذلك ذم الإكثار منه والولوع به، وذلك ان المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس اليه)).<sup>(٥)</sup>

ويعزّر الجرجاني آراءه حول هذه المسألة، إذ يقول: ((وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً (...)) حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، حتى تجده لا تبغي به

(١) البديع في ضوء اساليب القرآن (د. عبد الفتاح لاشين): ١٥٥.

(٢) سورة الروم: ٥٥/٣٠

(٣) اسرار البلاغة: ٦.

(٤) اسرار البلاغة: ٨.

(٥) اسرار البلاغة: ٨.

بدلاً، ولا تجد عنه حولاً، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه، أو ما هو لحسن مُلاءمته - وإن كان مطلوباً - بهذه المنزلة وفي هذه الصورة)).<sup>(١)</sup>

ويقول في ذلك الدكتور أحمد مطلوب مبدياً رأيه: ((وحسن الجناس وقيّمته أن تكون الالفاظ تابعة للمعاني وإلا جاء ثقيلًا لا يقبله الذوق السليم)).<sup>(٢)</sup>

أما ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، قد وضع شرطاً مهماً في حسن التجنيس، إذ يقول: ((وهذا إنما يُحسّن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلف ولا مقصود في نفسه، وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم، ثم جاء المحدثون فلهج به، ..)).<sup>(٣)</sup>

نستشف من قول ابن سنان هنا أنّ التجنيس يكون ذا موقع عظيم من النفس إذا كان قليلاً غير متكلف، وذلك حتى لا تمجّهُ النفس المتلقية وتنفر منه.

وقد جعل ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) التجنيس في الاسماء والالفاظ المشتركة على سبيل التحسين فيها، إذ قال: ((وأما التحسين فإن الواضع لهذه اللغة العربية، التي هي أحسن اللغات، نظراً إلى ما يحتاج إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر، ورأى أن من مهّمات ذلك (التجنيس) ولا يقوم به إلاّ الاسماء المشتركة، التي هي كلّ اسم واحد دلّ على مسميين فصاعداً، فوضعها من اجل ذلك.

وهذا الموضوع يتجاوزه جانبان، يترجح أحدهما على الآخر)).<sup>(٤)</sup> وبيانه ان التحسين يقضي بوضع الاسماء المشتركة ووضعها يذهب بفائدة البيان عند إطلاق اللفظ. لذلك قال في موضع آخر: ((اعلم ان التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام)).<sup>(٥)</sup> أي إذا كان كثيراً ومتكلفاً، ومقصود في وضعه تلك المواضع الكثيرة.

ولذلك نجد أن ابن أبي الاصبغ المصري (ت ٦٥٤ هـ)، قد وصف حسن التجنيس وأثره في اجتلاب الاسماع واصغائها إليه، فيقول: ((انه يميل بالسامع الى الاصغاء فإن مناسبة الالفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها، ولأنّ المذكور إذا حُمِل على معنى ثمّ جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه)).<sup>(٦)</sup>

(١) المصدر نفسه: ١٠

(٢) البلاغة العربية: ٢٦٩.

(٣) سر الفصاحة: ١٨٥.

(٤) المثل السائر: ١/٥٨.

(٥) المصدر نفسه: ١/٣٤٢.

(٦) بديع القرآن: ٢٧.

يتبين من ذلك ان الجناس يؤدي دوراً مهماً في جمال العبارة، لأن مناسبة الالفاظ تحدث في العبارة ميلاً وإصغاء في نفس السامع، أي ان اللفظ المجنس إذا حُمِلَ على معنى معين ثم جاء والمراد به معنى آخر كانت النفس اشوق إليه. (١)

وهكذا فحسن التجنيس يزيد العبارة حسناً من حيث التناسق والتنغيم، لأنه أي الجناس يكسب التركيب تشكيلاً صوتياً ذا تأثير في المتلقي.

## اقسام التجنيس في سورة آل عمران:

من الممكن بعد ان عرفنا مفهوم الجناس قديماً وحديثاً، وماله من حسن في تناسق التركيب، وما يضيفه عليه من تشكيل صوتي يسهم في بيان الوظيفة الدلالية للالفاظ الداخلة فيه، وذلك من خلال تأثيرها في المتلقي، لا بد لنا أن نقف على ألوانه وتشكيلاته في سورة آل عمران.

ومع أن الجناس هو تشابه في النطق مع تباين في المعنى، فهو نوعان على ما ذهب إليه علماء اللغة، فالأول: تام، وهو ما أتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور هي: نوع الحروف وعددها، وهيئتها وترتيبها، وغير تام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة الذكر وصوره هي:

### ١- الجناس التام:

((هو ان تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها)) (٢)، كقوله تعالى: ((وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالَّذِي تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (٣). فقد جانس هنا بلفظة (الهدى) الثانية دلالة منه تعالى على ان الهدى له وحده، يهدي من يشاء من العباد ويلط به حتى يسلم، أو يزيد من ثباته على الاسلام.

ومما جاء من ذلك قوله تعالى: ((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبِأَنوَاعٍ مِّنَ الْغُصْبِ مِمَّنَ اللَّهُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) التصوير البياني: ٢٧١.

(٢) المثل السائر: ١/٣٤٣.

(٣) سورة آل عمران: ٣/٧٣.

(٤) ينظر الكشف: ١/٣٧٤.

حَقٌّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)).<sup>(١)</sup> فقد جانس هنا بالفعل (ضرب) في قوله (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ) و (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ).

فالأولى تفيد دلالة على ان الله ضرب عليهم الذلّة في عامة الاحوال إلا في حالة اعتصامهم بحبله وحبل المؤمنين، يعني بهذا ذمة الله ورسوله والمسلمين عامة. وأما الثانية فقد أفادت دلالة أخرى، ان الله ضرب المسكنة على اليهود كما يُضرب البيت على من سكنه، وهو الضعف والعجز بينهم.<sup>(٢)</sup> وقد جاء منه قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَتَجْزِي الشَّاكِرِينَ)).<sup>(٣)</sup> فقد جانس هنا بالفعل والمصدر معاً كما في قوله المتقدم بالكلمتين (يُرِدُّ) و (ثَوَابٌ)، وهما يفيدان دلالة على معنى خاص: ((فمن كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة، نؤته ما قُسم له منها من رزق، ولاحظ له في الآخرة، ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وعده مع ما يجري عليه من رزقه فيدنيه، ...)) وسأنيب من شكر لي ما أوليته من إحساني إليه بطاعته إياي وانتهائه الى أمري، وتجنبه محارمي في الآخرة، مثل الذي وعدت اوليائي من الكرامة على شكرهم إياي)).<sup>(٤)</sup>

ومثال ماورد من ذلك قوله تعالى: ((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِمَّنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِمَّنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)).<sup>(٥)</sup> فقد جانس هنا اللفظتين (مَنْ يُرِيدُ) في قوله تعالى (مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) و (مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ)، حيث دلّت الاولى على ترك الرماة مواقعهم وذهابهم لجمع الغنائم وهم أصحاب الدنيا. أما الثانية فقد دلّت على بقاء جماعة من الرماة في مواقعهم وهم الذين خصتهم الآية بأصحاب الآخرة لأنهم لم يعصوا أمر الرسول محمد (ص).<sup>(٦)</sup>

وقد ورد هذا النوع من الجناس كثيراً في سورة آل عمران وخصوصاً في الآيات (١٦٠) - (١٧٣-١٧٨)، مما يُضفي على نسقها التركيبي المنتظم نوعاً من الانسجام بين الالفاظ المتجانسة، وهذا مما يزيد من وضوح الدلالة للالفاظ بصورة عامة وماله من تأثير في المتلقي والاستجابة للحدث.

(١) سورة آل عمران: ٣/١١٢.

(٢) ينظر: الكشف: ١/٤٠١-٤٠٢.

(٣) سورة آل عمران: ٣/١٤٥.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/١١٥-١١٦.

(٥) سورة آل عمران: ٣/١٥٢.

(٦) ينظر: الكشف: ١/٤٢٧.

## ٢- الجناس غير التام (الناقص):

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة وهي الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها، وصوره هي:

### ١- الجناس المطرف أو (الناقص):

((وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في أوله أو في آخره، وقد يسميه البعض المردف والناقص)).<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى: ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)).<sup>(٢)</sup> فقد جانس هنا باللفظتين (نفس) و (نفسه)، حيث أفادت الأولى دلالة على معنى ان كل نفس تجد خيرا وشرها حاضرين يوم القيامة. ودلت الثانية على قدرة الله وقوته في إنزال العذاب بالمشركين ليكن على بالهم عدم الغفلة عنه سبحانه وتعالى وتجاهله.<sup>(٣)</sup>

ومثال ما جاء منه قوله تعالى: ((ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)).<sup>(٤)</sup> فقد جانس هنا باللفظتين (بَعْضُهَا) و (بَعْضٍ)، دلالة على مصاهرة آل النبوة بعضهم لبعض، لتكوين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض الى ان ختمها النبي محمد (ص).<sup>(٥)</sup>

ومما ورد منه أيضاً قوله تعالى: ((وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)).<sup>(٦)</sup> نجد هنا قد جاء الجناس بالألفاظ (مَكْرُؤًا) و (مَكْرَ)، حيث تفيد الأولى دلالة على مكر بني اسرائيل الذين أحس الله عنهم الكفر والتخاذل، ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى - عليه السلام - من يقتله عنوة أو غيلة. أما الثانية فأراد بها مكره سبحانه وتعالى حينما رفع عيسى عليه السلام الى السماء وألقى شبيهه على من أراد قتله. واما الثالثة وهي (الْمَاكِرِينَ) فهي دلالة على قوة مكر الله ونفاذ كيده وقدرته على العقاب من حيث لا يشعرون.<sup>(٧)</sup> وقد ورد هذا النوع أيضاً في الآية (٣٦) من هذه السورة.

(١) التصوير البياني: ٢٧٦.

(٢) سورة آل عمران: ٣٠ / ٣.

(٣) ينظر الكشف: ١ / ٣٥٣.

(٤) سورة آل عمران: ٣ / ٣٤.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣ / ٢٣٤.

(٦) سورة آل عمران: ٣ / ٥٤.

(٧) ينظر: الكشف: ١: ٣٦٦.

## ٢- الجناس المصحف:

ويقال له جناس الخط وهو: ((ما تماثل ركناه في الخط، وتخالفا في النقط)).<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)).<sup>(٢)</sup> فقد جاء الجناس هنا في اللفظتين (أَقْرَرْتُمْ) و (أَقْرَرْنَا)، حيث أفادت الاولى دلالة على إقرار المسلمين بالرسول (ص) والايان به، وأما الثانية فقد أفادت دلالة على شهادة المسلمين بعضهم على بعض بالإقرار مع شهادة الله تعالى عليهم بالإقرار لتكن توكيداً وتحذيراً من الرجوع عن ذلك الأمر.<sup>(٣)</sup>

ومثال ما جاء منه في قوله تعالى: ((هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ بِاللَّهِ عَلَىٰ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ))<sup>(٤)</sup> حيث جاء الجناس باللفظتين (تُحِبُّوهُمْ) و (لَا يُحِبُّونَكُمْ)، فقد أفادت الثانية دلالة على معنى خاص، وهو بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون في محبتهم لأهل البغضاء الكثير من الود، وهم لا يحبونهم، أي انهم يؤمنون بكتابتهم كله، وهم مع ذلك يكون لهم البغضاء. أي أنهم يحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابهم (أي القرآن)، وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب معكم في حقكم.<sup>(٥)</sup>

وقد ورد منه كذلك في قوله تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)).<sup>(٦)</sup> فقد جانس هنا باللفظتين (انْقَلَبْتُمْ) و (يَنْقَلِبْ)، حيث أفادت الثانية دلالة على معنى أن الانقلاب على الاعقاب هو الادبار عما كان رسول الله (ص) يقوم به من أمر الجهاد وغير ذلك من أمور الشريعة. ومن انقلب عن ذلك فلن يضر إلا نفسه، لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع في ذلك.<sup>(٧)</sup>

(١) التصوير البياني: ٢٧٨. وينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٦١.

(٢) سورة آل عمران: ٨١/٣.

(٣) ينظر: الكشف: ١/٣٨٠.

(٤) سورة آل عمران: ٣/١١٩.

(٥) ينظر: الكشف: ١/٤٠٧.

(٦) سورة آل عمران: ٣/١٤٤.

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ٤/٨١٠.

### ٣- الجناس المحرف:

((أن تكون الحروف متساوية في تركيبها، مختلفة في وزنها)).<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى: ((فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ)).<sup>(٢)</sup> فقد جاء الجناس هنا باللفظتين (أَنْصَارِي) و (أَنْصَارُ)، فجاءت الأولى دلالة على الذين يضيفون أنفسهم أو قوتهم الى الله تعالى لنصرة عيسى - عليه السلام - . أما الثانية فقد أفادت معنى نصره هؤلاء لدين الله ورسوله بصورةٍ أشمل.<sup>(٣)</sup>

ومما جاء منه قوله تعالى: ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)).<sup>(٤)</sup> نجد هنا قد جناس في اللفظتين (عَمَلٍ) و (عَامِلٍ) حيث أفادت الثانية دلالة على مشاركة النساء مع الرجال فيها وعد الله عباده العاملين من دون تخصيصٍ لاحدٍ منهم.<sup>(٥)</sup>

### ٤- الجناس اللفظي:

((وهو ان تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرفٍ واحدٍ لا غير، وان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس)).<sup>(٦)</sup> كما في قوله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)).<sup>(٧)</sup> فقد جاء الجناس هنا باللفظتين (بَعْضُنَا) و (بَعْضًا)، دلالة على عدم القول بأن: ((العزیز ابن الله، ولا المسيح ان ابن الله، لأن كل واحدٍ منهما بعضنا بشر مثلنا، ولانطيع أخبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله)).<sup>(٨)</sup>

وما جاء منه أيضاً قوله تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ

(١) المثل السائر: ١/٣٤٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣/٥٢.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/٢٨٤.

(٤) سورة آل عمران: ٣/١٩٥.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/٨١٠.

(٦) المثل السائر: ١/٣٥٠.

(٧) سورة آل عمران: ٣/٦٤.

(٨) الكشاف: ١/٣٧١. وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/٣٠٢.

مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))<sup>(١)</sup> فقد جانس هنا باللفظتين (نِعْمَةٌ) و (نِعْمَتِهِ)، حيث أفادت الاولى دلالة على معنى الاجتماع والاستعانة بالله والوثوق به وعدم التفرقة، والتمسك بعهده والايان والطاعة له وبكتابه. وأما الثانية فقد دلت على معنى هو عدم الاختلاف والتنازع. كما اختلفت اليهود والنصارى، أو كما كنتم في الجاهلية متدابرين يُعادي بعضكم الآخر ويُجاربه، ثم أتم الله نعمته عليكم بالأمن والطمأنينة. وذلك بإتباع الحق والتمسك بالإسلام الذي لادين بعده، متراحين متناصحين مجتمعين.<sup>(٢)</sup>

## ٥- الجنس المقلوب:

وهو ((ما تساوت حروف ركنيه عدداً وتحالفت ترتيباً)).<sup>(٣)</sup> كما في قوله تعالى: ((إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)).<sup>(٤)</sup> فقد جانس هنا باللفظتين (تَخَافُوهُمْ) و (خَافُوا مِنِّي)، حيث أفادت الاولى معنى معيناً، أي ((لا تخافوهم فتعقدوا عن القتال وتجنبوا))، وأفادت الثانية معنى آخرًا، وهو: ((فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به)).<sup>(٥)</sup>

ومثال ما جاء من قوله تعالى: ((رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ)).<sup>(٦)</sup> حيث جانس هنا باللفظتين (مَنَادِيًا) و (يُنَادِي)، وقد أفادت دلالة على معنى، وهو: ((فإن قلت: فأَيُّ فائدة في الجمع بين المنادي وينادي؟ قلت: ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيماً لشأن المنادي، لأنه لا منادي أعظم من منادٍ ينادي للإيمان)).<sup>(٧)</sup>

## ٦- الجنس المعنوي:

- 
- (١) سورة آل عمران: ٣/١٠٣.
  - (٢) ينظر: الكشف: ١/٣٩٥.
  - (٣) البديع في ضوء اساليب القرآن: ١٦٢.
  - (٤) سورة آل عمران: ٣/١٧٥.
  - (٥) الكشف: ١/٤٤٣، وينظر: جامع البيان: ٤/١٨٣.
  - (٦) سورة آل عمران: ٣/١٩٣.
  - (٧) الكشف: ١/٤٥٥.

((وهو أن تكون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها)).<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى: ((كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)).<sup>(٢)</sup> فقد جانس هنا جناساً معنوياً باللفظتين (بني إسرائيل) و(إسرائيل) حيث أفادت اللفظة الثانية دلالة على شخص آخر وهو (يعقوب) عليه السلام والذي حرم على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل عروقتها، لأنه كان مصاباً بعرق النساء، فنذر إن شفي من هذا المرض أن يُحرم على نفسه أحب الطعام إليه. وأما الاولى فقد أفادت معنى معيناً وهو قوم يعقوب عليه السلام، فلم يحرم الله تعالى المطاعم كلها عليهم قبل نزول التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها وذلك لظلمهم وبغيهم، ولذلك اتبعوا ما حرم أبوهم يعقوب على نفسه.<sup>(٣)</sup>

ومما جاء من قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ)).<sup>(٤)</sup> فقد جانس هنا بعبارة (يا أهل الكتاب)، والتي تفيد دلالة على معنى آخر وهم اليهود أصحاب التوراة الذين يكفرون بآيات الله التي دلت على صدق النبي محمد (ص). أي أن الله شهيدٌ على أعمالهم ومجازيهم عليها.

وما جاء من ذلك قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)).<sup>(٥)</sup> لذا فقد جانس هنا باللفظتين (آل إبراهيم) و(آل عمران)، فقد أفادت الاولى دلالة على إسماعيل وإسحاق وأولادهما. أما الثانية فقد أعطت دلالة أخرى على موسى وهارون ابني عمران ابن يصر. وقيل انها عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان).<sup>(٦)</sup> ويلحق بالجناس نوعان آخران من أنواع الجناس هما:

## ١- الجناس المشتق:

((وهو أن يجمع الاشتقاق اللفظين، بمعنى أن يجمعها أصل واحد في اللغة)).<sup>(٧)</sup> كقوله تعالى: ((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا

(١) التصوير البياني: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران: ٩٣/٣.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١/٤-٢.

(٤) سورة آل عمران: ٩٨/٣.

(٥) سورة آل عمران: ٣٣/٣.

(٦) ينظر: الكشاف: ١/٣٥٤.

(٧) البديع في ضوء اساليب القرآن: ١٦٢.

مِنْهُمْ تَقَاةٌ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)).<sup>(١)</sup> فقد أفادت عبارة (لَا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)، دلالة هي: ((إِلَّا أَنْ تَخَافُوا مِنْ جِهَتِهِمْ أَمْرًا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ، (...))، والمراد بتلك الموازنة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئنٌ بالعداوة والبغضاء)).<sup>(٢)</sup> وهي هنا قلوب المشركين من اليهود أو أرباب قريش.

## ٢- الجناس شبه المشتق:

وهو: ((ان يجمع بين اللفظين شبه الاشتقاق، ذلك بأن يوجد في كل اللفظتين جميع ما في الأخرى من الحروف أو أكثرها، لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق)).<sup>(٣)</sup> مثال ذلك قوله تعالى: ((لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)).<sup>(٤)</sup> فقد أفادت عبارة (لَيْسُوا سَوَاءً)، دلالة على أهل الكتاب أي اليهود وهم ليسوا مستويين في العبادة وأداء الفرائض الدينية.

هذه هي أبرز أنواع صور الجناس وأكثرها وروداً في الأسلوب القرآني، وسورة آل عمران بصورة خاصة، وأبينها في ثانيا الكتب البلاغية المعروفة. وتدور كلها حول موضوع التطابق بين اللفظين مع اختلاف المعنى في المفردات المتجانسة.

## المزاوجة:

تُعدُّ المزاوجة في الكلام فناً من الفنون البلاغية المهمة ذات الصلة بالتشكيل الصوتي في اللغة العربية، لما تحدته من تناسق بين عناصر التركيب اللغوي، وذلك عن طريق الجمع بين الشرط والجزاء، أي اللفظ المعادل للشرط في السبب، حيث يخلق هذا التناسق الجمالي زيادة في معنى الالفاظ والمزاوجة: ((هي انتظامٌ يجمع بين الشرط والجزاء في ترتيبٍ لازمٍ من اللوازم عليهما معاً، مثل قول البحترى:

إِذَا مَا بَدَتْ فَازْدَادَ مِنْهَا جَمَاهَا      نَظَرْتُ لَهَا فَازْدَادَ مِنِّي غَرَامَهَا

(١) سورة آل عمران: ٢٨/٣.

(٢) الكشاف: ٣٥١/١.

(٣) البديع في ضوء اساليب القرآن: ١٦٣.

(٤) سورة آل عمران: ١١٣/٣.

فقد زواج الشاعر بين الشرط - ظهورها - والجزاء - نظرة - ورتبَ عليها لزوم شيء: وهو ازدياد الجمال، وازدياد الغرام)).<sup>(١)</sup>

أما علماء اللغة القدماء فقد ذهبوا في تعريفهم للمزوجة مذاهب عدة كلاً حسب وجهة نظره الخاصة في ذلك الموضوع. لذا قد عدَّ الرماني (ت ٣٨٨ هـ) المزوجة أحد أوجه التجنيس الذي يشمل المناسبة أيضاً. أي أنّ المزوجة عنده تقع في الجزاء وذلك لحسن البيان في الالفاظ، إذ يقول: ((المزوجة تقع في الجزاء، كقوله تعالى: (فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) <sup>(٢)</sup> أي جاوزه بما يستحق على طريق العدل، إلاّ أنّه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان)).<sup>(٣)</sup> أي اظهر المعنى المطلوب بصورة أوضح. ويضيف موضحاً هذه المسألة، أي وقوع المزوجة في الجزاء قائلاً ((والعربُ تقول: الجزاء بالجزاء، والأول ليس بجزاء، وانما هو على مزوجة الكلام. قال عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا  
فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

فهذا حسن في البلاغة، ولكنه دون بلاغة القرآن لأنّه لا يؤذن بالعدل كما اذنت بلاغة القرآن، وانما فيه الإيدان براجع الوبال فقط، والاستعارة للثاني اولى من الاستعارة للأول لأنّ الثاني يُحتذى فيه على مثال الأول في الاستحقاق، فالأول بمنزلة الأصل والثاني بمنزلة الفرع الذي يُحتذى فيه على الأصل، فلذلك نقصت منزلة قولهم: الجزاء بالجزاء، عن الاستعارة بمزوجة الكلام في القرآن)).<sup>(٤)</sup>

أما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) فقد نكر المزوجة في كتاب الصناعتين تحت باب السجع والازدواج حيث عدّ حسن المنشور من الكلام أنّه لا يخلو حتى ان يكون مزدوجاً، إذ قال: ((لا يحسنُ منشور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجدُ لبلغ كلاماً يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلامٌ عن الازدواج لكان القرآن، لأنّه في نظمه خارج عن كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عمّا تتزوج في الفواصل فيه)).<sup>(٥)</sup> وتمثل لذلك بقوله تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)).<sup>(٦)</sup>

(١) البديع في ضوء اساليب القرآن: ١١٤ - ١١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢/١٩٤.

(٣) النكت في اعجاز القرآن: ٩١، وينظر: الرسالة العسجدية: ١٢٧.

(٤) النكت في اعجاز القرآن: ٩٢، وينظر: الرسالة العسجدية: ١٢٨ - ١٢٩.

(٥) كتاب الصناعتين: ٢٦٠، وينظر: نصوص النظرية البلاغية: ٧٤.

(٦) سورة الانعام: ١/٦.

ويصفُ العسكري ما يجري في القرآن على التسجيع والازدواج، على أنه مخالفٌ في تمكين المعنى وصفاء اللفظ، بقوله: ((وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالفٌ في تمكين المعنى وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق، ألا ترى قوله عز اسمه: ((وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا)).<sup>(٣)</sup> قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى)).<sup>(٣)</sup>

وقد ذهبَ ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ ٩ مذهب أبي هلال العسكري في عدِّ المزاوجة تحت باب السجع والازدواج، وهي عنده: ((من المناسبة بين الالفاظ في الصيغ السجع و الازدواج،...)).<sup>(٣)</sup>

بينما نحا عبد القاهر المرجاني (ت ٤٧١ هـ) منحى آخر في وصف المزاوجة في الكلام، فقد وضعها في باب النظم الذي يتحد فيه الوضع، ويدق فيه الصنع بقوله: ((واعلم أن مما هو أصل في ان يدق النظر، ويغمض السلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد اجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وان يحتاج في الجملة الى ان تضعها في النفس وضعا واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك، نعم وفي حال ما يصير مكان ثالث ورابع يضعها بعد الاولين، وليس لما شأنه أن يجيء على الوصف حد يحصره، وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة، فمن ذلك ان تتزوج بين معنيين في الشرط والجزاء معاً)).<sup>(٤)</sup>

أما القزويني (ت ٧٣٩ هـ) فقد عدَّ المزاوجة قسماً من أقسام البديع، إذ يقول: ((ومنه المزاوجة، وهي أن يزواج بين معنيين في الشرط والجزاء، كقوله:  
إذا ما نهى النَّاهِي فلجَّ بي الهوى  
أصاحتُ إلى الواشي فلجَّ بها الهنجر.<sup>(٥)</sup>

## صحة المزاوجة:

أما فيما يخصَّ صحَّة المزاوجة وعيوبها، فقد ذكر علماء البلاغة في ذلك في معرض حديثهم عنها، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، إذ عدَّ أحد عيوب الازدواج أو المزاوجة،

(١) سورة العاديات: ٣/١٠٠.

(٢) كتاب الصناعتين: ٢٦٠، وينظر: نصوص النظرية البلاغية: ٧٥.

(٣) سر الفصاحة: ١٦٣.

(٤) دلائل الاعجاز: ١٢٧.

(٥) التلخيص في علوم البلاغة: ٣٥٨.

التجميع، وهو: ((أن تكون فاصلة الجزء الاول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني، مثل ما ذكر قدامة: أن كاتباً كتب: وصلَ كتابك فوصل به ما يستعبدُ الحرَّ، وان كان قديم العبودية، ويستغرق الشكر، وإن كان سالف ودَّك لم يبق منه شيئاً، فالعبودية بعيدة عن مشاكلة عنه)).<sup>(١)</sup>

ومن صحة المزوجة ومحاسنها، يقول في ذلك أبو هلال العسكري واصفاً هذه المسألة: ((والذي ينبغي ان يُستعمل في هذا الباب ولا بد منه هو الازدواج، فإن أمكن أن يكون كل فاصلتين على حرفٍ واحد، أو ثلاث، أو أربع لا يتجاوز ذلك كان أحسن، فإن جاوز ذلك نسب الى التكلف. وإن أمكن أيضاً أن تكون الاجزاء متوازنة كان أجمل، وإن لم يكن ذلك فينبغي ان يكون الجزء الاخير أطول، على أنه قد جاء في كثير من ازدواج الفصحاء، ما كان الجزء الاخير منه أقصر، حتى جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه كثير. كقوله للأَنْصار يفضلهم على من سواهم: (إنكم لتكثرُونَ عند الفَرْعِ وتقلُّونَ عند الطَّمَعِ)، ..)).<sup>(٢)</sup>

أما ابن سنان الخفاجي (٤٦٦٥ هـ) فقد بيّن في مجال حديثه عن السجع والازدواج صحّة وعيب السجع والازدواج بقوله: ((وبعض الناس يذهب الى كراهة السجع والازدواج في الكلام، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيراً، وحجة من يختاره أنه ربّما وقع بتكلف وتعمّل واستكراه، فأذهب طلاوة الكلام وأزال ماءه، وحجة من يختاره أنه مناسبة بين الالفاظ يحسنها، ويظهر آثار الصنعة فيها، ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، والفصيح من كلام العرب)).<sup>(٣)</sup>

يتضح لنا مما تقدم أن صحّة المزوجة تعتمد على الموازنة بين الالفاظ المزوجة في شطري الكلام، وتعتمد كذلك على عدم التكلف والاكتثار من الالفاظ مما يؤدي الى ذهاب حلاوة الكلام وطلاوته والجنوح به الى الاستكراه والنفور، ولكن خير المزوجة ما كانت ذات كلماتٍ دالّةٍ على معاني غاية في الجمال، ممّا يؤثر في ذهن المتلقي.

## المزوجة في سورة آل عمران:

بعد ان بينا أهمّ التعريفات التي ساقها علماء اللغة والبلاغة العرب للمزوجة، وعرفنا ماهية المزوجة في الانتظام الذي يجمع بين الشرط والجزاء في ترتيب لازم من اللوازم عليهما معاً، وتبيننا صحة المزوجة وعيوبها من خلال الموازنة بين الالفاظ المزوجة في اقسام الكلام، ومما يؤدي من

(١) كتاب الصناعتين: ٢٦٤، وينظر: نصوص النظرية البلاغية: ٧٨.

(٢) كتاب الصناعتين: ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٣) سر الفصاحة: ١٦٤.

زيادة هذه الالفاظ في أحد الشطرين من جنوح الى التكلف فيها وإذهاب حلاوتها ونفور معانيها، لا بد لنا من معرفة ما تحويه ثانيا آيات سورة آل عمران من صنوف هذا الفن البديعي، وما يضيفه هذا الفن من تناسق جمالي على تراكيبها اللفظية، وذلك زيادة في المعنى لآيات هذه السورة ووقوعه في أذهان المتلقين.

ومثال ما جاء من ذلك قوله تعالى: ((وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))<sup>(١)</sup>. فاستعير هنا للجزء الى المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أنّ وبال المكر الذي ضمروه للرسول والمسلمين راجع عليهم ومختص بهم، جزاءً أعلى ما فعلوه.<sup>(٢)</sup>

ومما ورد منه قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))<sup>(٣)</sup>. حيث زواج هنا باللفظتين (ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ)، (وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)، فقد أفادت الاولى وهس الشرط طلب فتن الناس عن دينهم واضلاهم عنه، وأما الثانية وهي الجزاء فقد دلت على معنى تأويل هؤلاء الذين في قلوبهم زيغ القرآن، التأويل الذي يشتهونه لسد رغباتهم. وقد زواج أيضاً بين اللفظتين (يَعْلَمُ) و (العِلْمِ)، فقد دلت الاولى على الشرط والثانية على الجزاء، وقد أفادت دلالة لفظية، هي أنّه لا يعلم تأويله الحق إلا الله سبحانه وتعالى، وعباده الذين رسخوا في العلم، أي انهم ثبتوا وتمكنوا فيه، ويفسرون التشابه منه بما استوثر عن الله بعلمه وبمعرفة الحكمة منه في آياته.<sup>(٤)</sup>

ومما جاء من ذلك أيضاً قوله تعالى: ((فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ))<sup>(٥)</sup>. فقد زواج هنا بين اللفظتين (أَسْلَمْتُمْ) وهي الشرط، و (أَسْلَمُوا) وهي الجزاء، لذا أفصحت الاولى عن معنى خاص هو مجيء الرسول محمد (ص) بالبينات من الله بما يوجب الاسلام له. ويقضي ذلك حصوله لاحالة كأمير واقع. أما الثانية فقد أفادت معنى أنهم أن أسلموا فقد نقوا أنفسهم بالاسلام حيث أخرجوا جميعاً من الضلالة الى الهدى من ظلمات الكفر والعبودية الى نور الحق والاسلام.<sup>(٦)</sup>

(١) سورة آل عمران: ٥٤/٣.

(٢) ينظر: النكت في اعجاز القرآن: ٩١.

(٣) سورة آل عمران: ٧/٣.

(٤) ينظر: الكشف: ٣٣٨/١.

(٥) سورة آل عمران: ٢٠/٣.

(٦) ينظر: الكشف: ٣٤٧/١.

ومثال ما جاء من المزوجة قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)).<sup>(١)</sup> فقد زواج هنا باللفظتين (تُحِبُّونَ) و (يُحِبُّكُمْ)، حيث جاءت الاولى للشرط وهي حبهم الله سبحانه تعالى، والثانية للجزاء وهي حبّ الله لهم. فقد افادت الاولى دلالةً معنويةً على حبّ العباد لله، وهي تعبر عن إرادة نفوسهم أي المسلمين عن تخصيص العبادة لله دون غيره. وأما الثانية أفادت معنى الجزاء لهؤلاء من الله ومحبته لهم أن يرضى عنهم ويحمد لهم ما سعوا إليه.

ومما ورد منه قوله تعالى: ((هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)).<sup>(٢)</sup> فقد زواج هنا بالألفاظ (حَاجَجْتُمْ) و (تُحَاجُّونَ)، لذا أفادت الاولى وهي الشرط معنى أن هؤلاء الاشخاص الحمقى بانت حماقتهم وقلة إدراك عقولهم بأنهم جادلوا بما جاء في التوراة والانجيل وهم يعلمون بما فيها من علم. وأما الثانية فقد أفادت معنى أنهم قد حاججوا فيما لا ذكر له من دين إبراهيم في كتابهم المقدس. وزواج كذلك في اللفظتين (يَعْلَمُ) و (لَا تَعْلَمُونَ)، وقد دلّت على معنى جهلهم بما حاججوا به من كون إبراهيم بريء من دينهم وقد كان مسلماً حنيفاً وليس من المشركين.<sup>(٣)</sup>

يتبين لنا مما تقدّم أنّ المزوجة قد وردت في آيات سورة آل عمران بنسب كثيرة، وذلك لما تتمتع به هذه السورة من طول في فواصل آياتها مما ساعد هذا على انتظام النسق التركيبي لألفاظها، وأضفى عليها نسقاً موسيقياً غاية في الجمال، أدى الى الافصح عن المعاني الدلالية لها بصورة أوضح، خلقه هذا التزواج بين الالفاظ كما في الامثلة المتقدمة.

## المشكلة:

المشكلة في صيغتها فنّ من الفنون البديعية ذات الاهمية الكبرى في تنوع الالفاظ في النصّ الادبي، أو القرآني بصورة خاصة. ويأتي هذا التنوع من خلال ذكر الشيء بلفظ غيره نتيجة لوقوعه في نسق الكلام، ويكون بنفس الهيئة والشكل التكويني من حيث الاصوات أو الحروف. لذلك يؤدي هذا التنوع في الالفاظ المتسقة في التركيب الكلامي الى تنوع الدلالات للنصّ المشكّل. وعلى هذا يمكن تعريف المشكلة بأنها: ((ذكر الشيء بلفظ غيره في صحبته)).<sup>(٤)</sup>

(١) سورة آل عمران: ٣١/٣.

(٢) سورة آل عمران: ٦٦/٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٣٧١.

(٤) البديع في ضوء اساليب القرآن: ٧٥.

ومن هذا المنطلق يمكن التعرف على آراء علماء اللغة القدماء في تعريف المشاكلة ومعرفة مزايا تأثيرها في نمط التشكيل الصوتي في النصوص الأدبية نتيجة لكونها مُحَسَّنًا بديعياً بالغ الأهمية في تحسين التركيب اللفظي. لذا فقد خصَّ الرماني (ت ٣٨٨ هـ) المشاكلة في كلامه عن باب الفواصل والسجع، إذ يقول: ((الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إيفهام المعاني. والفواصل بلاغة، والاسجاع عيب (...))، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلال ذلك فهو عيب، ولكنه لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة، ومثله مثل من رصَّع تاجاً ثم ألبسه زنجياً ساقطاً، أو نظم قلادة دُرَّ ثم ألبسها كلباً)).<sup>(١)</sup> وقد ذكر الرماني ما للمشاكلة من أهمية في تنظيم الاصوات في الكلام المسجوع واظهار دلالاته بصورة أوضح، قائلاً: ((وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة، وذلك أنه ليس فيه إلا الاصوات المتشاكلة، كما ليس في سجع الحمامة إلا الاصوات المتشاكلة، كان المعنى لما تكلف من غير وجه لحاجة إليه والفائدة فيه لم يعتد به، فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الاصوات المتشاكلة)).<sup>(٢)</sup> أي أنه لا فائدة هنا للمشاكلة إذا لم تظهر المعنى الحقيقي للنص من غير تكلف في رصف الحروف مما يؤدي الى التنافر في الكلام، واختلال في المعنى العام للنص المشكّل. اذن يأتي الكلام الحسن من حسن مشاكلة حروف الفاظه بصورة دقيقة ومؤثرة.

أما الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) فقد عولَّ على دراسة المشاكلة وتعريفها واظهار أهميتها من خلال ضرب عدّة أمثلة تدلّ عليها من القرآن الكريم والشعر والمنثور من الكلام، إذ عدّها مُحَسَّنًا من المحسنات البديعية، وقد وصفها قائلاً: ((المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا))، فالأول قوله:

قَالُوا أَفْتَرِحُ شَيْئًا نَجِدُ لَكَ طَبْحَهُ قُلْتُ اطْبُحُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا.<sup>(٣)</sup>

ومن قوله تعالى: ((إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)).<sup>(٤)</sup>

(١) النكت في اعجاز القرآن: ٨٩ - ٩٠. وينظر في ذلك: نصوص النظرية البلاغية: ٢٤٩.

(٢) النكت في اعجاز القرآن: ٩٠. وينظر في ذلك نصوص النظرية البلاغية: ٢٥٠.

(٣) التلخيص في علوم البلاغة: ٣٥٦.

(٤) سورة المائدة: ١١٦/٥.

نجدُ هنا قد أطلقت كلمة (النفس) في قوله عزّ وجل على ذات الله سبحانه وتعالى، وذلك لوقوعها في صيغة كلمة (نفسية)، المراد منها عيسى عليه السلام، الغرض منها مشاكلة الثانية الاولى تحقيقاً للمشاكلة في النصّ القرآني. <sup>(١)</sup>

وأما النوع الثاني من المشاكلة عند القزويني وهو (المشاكلة التقديرية)، فقد وردت في قوله تعالى: ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا سُبُلًا تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)). <sup>(٢)</sup>

نجدُ هنا ان المشاكلة قد تمت بلفظة: ((صبغة الله، وهو مصدر مؤكد لأمنا بالله، أي تطهير الله لأنّ الايمان يُطهر النفوس، والاصل هو أنّ النصرارى كانوا يغمسون اولادهم في ماءٍ أصفر يسمونه (المعمودية)، ويقولون إنه تطهيرٌ لهم، فعبر عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة)). <sup>(٣)</sup>

وتكمن بلاغة المشاكلة وفضيلتها في النصّ من خلال حسن جمال العبارة وتنظيمها، إذ يرى ذلك الدكتور عبد الفتاح لاشين، قائلاً: ((ولاشك ان بلاغة المشاكلة تكمن في جمال العبارة وسمو في البلاغة، فالناظر يتوهم ان المعنى الثاني هو عين الاول، فإذا أدام النظر، وحقق الفكر، علم أنّه غيره، فيكون ذلك سبباً لاستقراره في الذهن، ورسوخه في الفهم، فيكون أدعى للثبوت وعدم التفلت)). <sup>(٤)</sup> كما في قوله تعالى: ((وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)). <sup>(٥)</sup>

ونجد هنا انه سمى جزاء السيئة ((سيئة)) اخرى، وذلك ليشاكل بهذا لفظة (السيئة) الاولى وفي هذا الاسلوب القرآني دلالة على ما يؤدي هذا العمل التنفير من فعلها حيث أن الجزاء فعل السيئة سيكون جزاؤه شديداً لا يقل في شدته عن الأثر السيء الذي يترتب عليه اقتراف هذه المعاصي والسيئات معاً. <sup>(٦)</sup> أي ان استخدام السيئة في الجزاء عليها من قبيل المجاز أو المجاز المرسل، للعلاقة السببية بينها، لذا فقد أسهمت المشاكلة هنا مع المجاز المرسل في اظهار جمال الاسلوب وسمو بلاغته الادبية.

(١) ينظر: البديع في ضوء اساليب القرآن: ٧٥.

(٢) سورة البقرة: ٢/١٣٦ - ١٣٨.

(٣) التلخيص في علوم البلاغة: ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٤) البديع في ضوء اساليب القرآن: ٧٨.

(٥) سورة الشورى: ٤٢/٤٠.

(٦) ينظر: البديع في ضوء اساليب القرآن: ٧٦.

## انواع المشاكلة في سورة آل عمران:

بعد ان بينا أهم التعريفات التي ساقها علماء اللغة والبلاغة القدماء والمحدثين للمشاكلة في ذكر الشيء بلفظ غيره، وذلك لوقوعه في صحبته في الجملة أو العبارة، وما لها من تأثير بالغ الاهمية على نمط التشكيل الصوتي في النصّ الادبي، وإظهار دلالاته من خلال نوعيها التحقيقي والتقديرى. وما تتمتع بع المشاكلة من بلاغة من خلال حسن جمال العبارة وتنظيمها وسموّ بلاغتها فيكون ذلك سبباً لاستقرارها في ذهن المتلقّي ورسو في الفهم لديه. ومن ذلك مجتمعاً لأبّد لنا من تطبيقه على ثانيا آيات سورة آل عمران من حيث أقسامها وما تضيفه عليها - أي المشاكلة - من بيان لدلالاتها المنتظمة في النسق التركيبي لها. دلالة على سموّ ورفعة النصّ القرآني وتجرده عن بقية النصوص الاخرى رفعةً وتنزيهاً له. وتأتي المشاكلة على نوعين هما:

### ١- المشاكلة الحقيقية:

وهي ان تكون الالفاظ المشاكل بها موجودةً في الكلام. وتدلّ اللفظة الثانية على الاولى كما في قوله تعالى: ((مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ. وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).<sup>(١)</sup> فقد شاكل هنا باللفظتين (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ) و (كَمَثَلِ رِيحٍ)، لذا أفادت (مَثَلُ) الثانية تقوية معنى الاولى في كون قدرة اللع أعلى في إعطاء رزقه لمن يشاء بغير منة منه. لذلك فقد أفصحت (مَثَلُ) الاولى عن دلالة لفظية كون ما يتصدق به الكافر من ماله الخاص، فيعطي منه ما يُعطي على وجه القرية الى الله تعالى، وهو بذلك جاحد لوحداية الله ومشارك به ومكذب لنبيه محمد (ص)، فيكون ذلك غير نافع له مع كفره وإلحاده. وان الله غير محتاج الى ماله. ويكون عمله هذا كمثل ريح صرّ باردة أهلكت حرث قوم ظالمين، والريح الصرّ هي الريح الباردة التي تضرب الزرع فتحرقه كما تفعل النار.<sup>(٢)</sup> ومما جاء من المشاكلة قوله تعالى: ((ان يَمَسُّكُمْ فَرَحٌّ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌّ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)).<sup>(٣)</sup> فقد شاكل هنا باللفظة (فَرَحٌّ) مرتين. لذا أفادت (فَرَحٌّ) الثانية تقوية معنى الاولى. حيث أفصحت

(١) سورة آل عمران: ١١٧/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٦٠/٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٠/٣.

عن معنى معين وهو: ((ان يمسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد فقد مس القوم من اعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح قبله)).<sup>(١)</sup> وهذا ما حدث يوم أُحد بالأخص.

ويأتي من هذا النوع قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)).<sup>(٢)</sup> فقد شاكل هنا باللفظين (ثَوَابِ الدُّنْيَا) و (ثَوَابِ الْآخِرَةِ)، لذا أفادت الثانية تقوية معنى الاولى في كون ثواب الآخرة أحسن مكسب من عمل الدنيا وزخرفها: ((أي فمن كان منكم يريد الدنيا لسبب له رغبة في الآخرة، تؤته ما قسم له منها من رزق، ولا حظ له في الآخرة، ومن يُرد ثواب الآخرة تؤته منها ما وعده مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه)).<sup>(٣)</sup>

وقد ورد من قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)).<sup>(٤)</sup> جاءت المشاكلة هنا باللفظة (يَغْلُ)، لذا فقد أتت (يَغْلُ) الثانية لتقوية معنى الاولى في عدم أخذ الرسول بعض الغنائم وعدم توزيعها على أصحابه ممن شهدوا الواقعة، وكون: ((ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قטיפه فقدت من مغنم القوم يوم بدر، فقال بعض من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها، ورووا في ذلك روايات)).<sup>(٥)</sup>

ومثال ما جاء أيضاً قوله تعالى: ((إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)).<sup>(٦)</sup> فقد شاكل هنا باللفظة (خَافُونَ)، حيث جاءت تقوية لمعنى الاولى وهي أفادت معنى معيناً دالاً على مخافة الله لأنه الخالق المكون، وعدم مخافة المشركين، أي: ((فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمن عليكم أمرهم، ولا ترهبوا اجمعهم مع طاعتكم أي أي ما اطعتموني، واتبعتم أمري، وإني مُتكفل بكم بالنصر والظفر، ولكن خافون، واتقوا ان تعصون وتخالفوا أمري، فتهلكوا إن كنتم مؤمنين، يقول: ولكن خافون دون المشركين، ودون جميع خلقي ان تخالفوا أمري، ان كنتم مصدقي رسولي، وما جاءكم به من عندي)).<sup>(٧)</sup>

(١) جامع البيان: ١٠٣/٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٥/٣.

(٣) جامع البيان: ١١٥-١١٦، وينظر في ذلك: الكشاف: ١/٤٢٤.

(٤) سورة آل عمران: ١٦١/٣.

(٥) جامع البيان: ١٥٤/٤، وينظر في ذلك: الكشاف: ١/٤٣٣-٤٣٤.

(٦) سورة آل عمران: ١٧٥/٣.

(٧) جامع البيان: ١٨٤/٤.

## ٢- المشاكلة التقديرية:

وهي المشاكلة التي تفهم من خلال سياق الكلام، أي تُقدَّر من المعنى العام. ومما جاء منها في سورة آل عمران قوله تعالى: ((قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَآ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)).<sup>(١)</sup> فقد شاكل هنا بالعبارتين (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ) و (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)، لذا افادت الثانية تقوية معنى الاولى وعادت عليها من حيث المعنى وهو الكفر والالحاد بعد الايمان والتصديق بالله. وعرف المعنى هنا من خلال سياق الآيات وطبيعتها القائمة على التحقيق والاستفسار. أما الاولى (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ) يعني بها: ((قُلْ لِمَ يَا مُحَمَّد: صدقنا بالله انه ربنا وهنا، لا إله غيره، ولا نعبد أحداً سواه (وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا)، يقول: وقُل: وَصَدَقْنَا أَيْضاً بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ وَصِيَّةٍ وَتَنْزِيلٍ، ..)).<sup>(٢)</sup> ثم بعد ذلك ينكصون العهد والايمان ويرجعون الى الكفر والضلالة. ومثال ذلك قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)).<sup>(٣)</sup> فقد شاكل هنا بالعبارتين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ) و (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)، لذا جاءت الثانية تقوية لمعنى الاولى في كون ان الله سبحانه وتعالى قد بين للمؤمنين ما يكتنه لهم هؤلاء القوم أي اليهود من حقدٍ دفين لهم. لذا لا تتخذوهم أولياء واصدقاء لكم، أي جاء المعنى مفهوماً من خلال سياق الكلام، وخاصة في وعظه سبحانه وتعالى المؤمنين ان يصدقوا بالله وبرسوله وأن يقرؤا بما جاءهم به نبيهم من عنده سبحانه، ولا يتخذوا لهم بطانةً من دون الرسول والمؤمنين حتى لا يردوكم من الايمان الى الاشرار والكفر بالله تعالى. إن كنتم تعقلون وتستجيون لطاعة الله ورسوله ومواعظهُ وأمره، ومدى ما يقع ذلك لكم ومبلغ ما يعود عليكم من الخير والرزق.<sup>(٤)</sup>

(١) سورة آل عمران: ٣/ ٨٤ - ٨٥ - ٨٦.

(٢) جامع البيان: ٣/ ٣٣٨.

(٣) سورة آل عمران: ٣/ ١١٨.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٤/ ١٨٤.

## الفصل الثاني

الأثر الصوتي لبعض مظاهر التركيب في سورة آل عمران

### الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم:

الاعجاز في اللغة: الضعف، وهو ضد القدرة، وأعجز الشيء: فاته، وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته: جعلته عاجزاً. <sup>(١)</sup> وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ)). <sup>(٢)</sup>

أما الإعجاز اصطلاحاً فهو: ((أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدي سالمٌ من المعارضة)). <sup>(٣)</sup> ولكننا نجد أنه من الصعب جداً أن نحدد الزمان والمكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة إعجاز أول مرة بهذا المعنى الديني الاصطلاحي الفني. فقد استأثرت دراسات إعجاز القرآن ومعرفة وجوه إعجازه بقسطٍ كبيرٍ من الدراسات القرآنية التي بدأت جذورها تنمو في أوائل القرن الثاني الهجري على الأرجح.

لقد نزل القرآن الكريم على النبي محمد (ص)، فتحدى به العرب قاطبة على أن يأتوا بمثله، وذلك عندما قالوا: افتراه. فأنزل الله عز وجل قوله: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ)). <sup>(٤)</sup> فلما عجزوا عن الاتيان بعشر سور منه تشاكل القرآن عليهم، حينها أنزل الله قوله تعالى: ((فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ)). <sup>(٥)</sup> ثم كرر الله قوله: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ)). <sup>(٦)</sup> أي بكلام من مثله أو يشابهه ليكون دليلاً على صدق دعواهم.

فأوقف هذا التحدي العربي في حيرة من أمرهم، وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة والبيان، وازاء هذا كله، أبرز كل ذي رأي رأيه، وتمعن القرآن وأدرك، فتوالت الآراء في إعجازه وتباينت الحجج كل حسب اجتهاده وتأويله.

وكان المعتزلة من اوائل الفرق التي بحثت في إعجاز القرآن ونظمه، ومن أشهر أقطابهم ابراهيم بن اليسار النّظام (ت ٢٢٧ هـ) القائل بمذهب الصرفة أي: ((إن الله صرف العرب عن

(١) ينظر: لسان العرب (ابن المنظور)، (مادة عجز): ٢٣٦/٧.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٩/ ٢٢.

(٣) الاتقان في علوم القرآن (السيوطي): ١١٦/٢.

(٤) سورة هود: ١١/ ١٣.

(٥) سورة البقرة: ٢/ ٢٣.

(٦) سورة البقرة: ٢/ ٢٣.

معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات)).<sup>(١)</sup>

ومن علماء اللغة الذين فدّوا حجة النظام، الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، إذ قال: ((وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: ((قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)).<sup>(٢)</sup> فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سئلوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلة منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكثير يحتل بذكره، هنا مع اجتماع منعقد على إضافة الاعجاز الى القرآن، فكيف يكون معجزاً غيره وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى، حيث سلّهم قدرتهم على الاتيان بمثله)).<sup>(٣)</sup>

وقد شايع النظام في هذا المبدأ عدة مجموعات من المعتزلة وهذا ما أكده الدكتور مصطفى صادق الرافعي في معرض ردّه على هذه الحجة بقوله: ((إن القول بالصرفة هو المذهب الغاشي من لدن قال به النظام، يصوبه فيه قوم ويشايعه عليه آخرون، ولولا احتجاج هذا البليغ لصحته، وقيامه عليه، وتقلده أمره، لكان لنا اليوم كتبٌ ممتعة في بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه اللغوي وما الى ذلك - ولكن القوم عفا الله عنهم - أخرجوا أنفسهم من هذا كلّه، وكنوها مؤنّته بكلمة واحدة تعلقوا عليها، فكانوا فيها جميعاً)).<sup>(٤)</sup>

أما الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وهو تلميذ النظام، فإن رأيه في الاعجاز كراي أهل العربية وهو: ((أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها)).<sup>(٥)</sup> أي أن الجاحظ قد أعتمد في بيان رأيه هذا على النظم واللفظ سبباً في إعجاز القرآن، وهذا ما ذكره الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ) أيضاً: ((وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يرد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عمّا يلتبس في أكثر المعنى)).<sup>(٦)</sup>

ومن هؤلاء أيضاً أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٦ هـ)، فهو يرى أن القرآن معجز ببلاغته، على الرغم من أنّه قال: ((وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والاختبار الصادقة من

(١) البرهان في علوم القرآن (الزركشي): ٢/ ٩٣ - ٩٤، وينظر: الالتقان في علوم القرآن: ٢/ ١١٨.

(٢) سورة الأسراء: ١٧/ ٨٨.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٩٤.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (د. مصطفى صادق الرافعي): ١٦٣ - ١٦٤.

(٥) المرجع نفسه: ١٦٤ - ١٦٥.

(٦) إعجاز القرآن: ٢١.

الامور المستقبلية، ونقص العادة، وقياسه بكل معجزة))،<sup>(١)</sup> إلا أنه قد جعل محتوى رسالته ((النكت في إعجاز القرآن)) محورها البلاغة، فقال: ((وانما البلاغة إيصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن)).<sup>(٢)</sup>

وقد قال في ذلك حمد بن ابراهيم الخطابي البستي (ت ٣٨٨ هـ): ((واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته)).<sup>(٣)</sup> ويضيف الخطابي في رسالته وجهاً آخر للإعجاز بقوله: ((قلت: في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس)).<sup>(٤)</sup>

ويرى أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) رأياً آخر في الإعجاز على: ((انه لا سبيل الى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر، ووصفوه فيه ولذلك ان هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب له والتصنع له، كقول الشعر ووصف الخطب، وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة)).<sup>(٥)</sup>

وقد حدد الباقلاني ثلاثة أوجه من الإعجاز القرآني: ((الوجه الاول: يتضمن الاخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم فيه. (...). أما الوجه الثاني: أنه كان معلوماً من حال النبي (ص) أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ. وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبيائهم وسيرهم، ثم أتى بجملته ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام الى حين مبعثه (...). ويتضمن الوجه الثالث: أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه)).<sup>(٦)</sup>

أما الامام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فيرى أن القرآن معجز في نظمه ولفظه وهو إن: ((عجز العرب حين تحدوا الى معارضة القرآن وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين، وفيما يتصل بذلك مماله اختصاص بعلم

(١) النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن): ٦٩.

(٢) المصدر نفسه: ٦٩.

(٣) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن): ٢٤-٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ٦٩.

(٥) إعجاز القرآن: ١١٦.

(٦) إعجاز القرآن: ٥٠-٥٢.

أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم، وبعلم الادب جملة)).<sup>(١)</sup> ويصفُ هذا التحدي في مكانٍ آخر من رسالته فيقول: ((إنَّ التحدي كان الى أن يعبر عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أطلق لهم وخيروا في المعاني كلها. ذلك لان القول بها غير هذا الوجه أموراً شنيعة، يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيها، وذلك أنَّه يلزم عليه أن يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان)).<sup>(٢)</sup>

ونستنتج من خلال هذا العرض الموجز لآراء علماء اللغة القدماء في إعجاز القرآن، أن الرأي الراجح في سبب إعجازه هو حاصلٌ في نظمه ولفظه على حدِّ قولهم. ولذلك عجز العرب وهم أمة الفصاحة والبيان ان يتحدوه وان يأتوا ولو بسورةٍ واحدة من مثله.

### الفواصل الصوتية وأثرها في القرآن الكريم:

تُعَدُّ الفواصل الصوتية من العناصر المهمة في بناء التشكيل الصوتي وتنوعه في النصوص الادبية، وفي سور القرآن الكريم بصفة خاصة، لما تؤديه من دور مهم في تنظيم آياته واتصال معانيها واتساقها مما يخلق بينها موسيقى منتظمة، ينتج عنها إظهار الدلالات الوظيفية للألفاظ المتشكلة، والقادرة على التأثير في أذن المتلقي واستجابته لها.

أي أن: ((موسيقى الفواصل القرآنية أشبه بموسيقى القوافي في الشعر. وبناء القرآن الكريم على الفواصل تأكيد لقيمتها الموسيقية في الكلام، إذ يتوقع الاذن - مع توالي الآيات - تكرير صوتٍ او عدة أصوات متشابهة)).<sup>(٣)</sup>

وقبل الخوض في دراسة الفواصل، وبيان تعريفاتها عند أغلب الدارسين من قدماء ومحدثين، لابد لنا من إبراز معناها من الناحية اللغوية، ولهذا فإنَّ مفهوم الفاصلة يأتي من المعنى اللغوي لها، الذي يعني: ((الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل النظم. وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، والفصل القضاء بين الحق والباطل، (...))، وذكر الزجاج: أن الفاصل صفة من صفات الله عزَّ وجل يفصل بين الحق)).<sup>(٤)</sup>

ومن هذا المعنى اللغوي للفاصلة، نستطيع أن نحدد المفهوم أو المعنى الاصطلاحي لها، والتي تعد حلقة الوصل في عملية ربط أجزاء الكلام بعضها مع البعض الآخر، ويتضح ذلك في انتظام

(١) الرسالة الشافعية، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٣.

(٣) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم (د. محمد سليمان العبد): ٨٥.

(٤) لسان العرب (مادة فصل): ١١٠١/٢.

معانيه بصورة متناسقة في وحدة عضوية متكاملة. وهذه أهم أقوال القدماء والمحدثين في تعريفها.

يُعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، وهو من علماء اللغة المتقدين، أول من ربط بين مفهوم السجع والفواصل ومقارنتها بالقوافي في الشعر، إذ قال: ((سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن)).<sup>(١)</sup> أي أنّ السجع عنده يعتمد على عنصر التقفية، في حين أنّ الفواصل لا تعتمد على التقفية بشكل أساس وإنما تعتمد على عنصر التقارب بين الحروف في أواخر الجمل الكلامية أو الآيات القرآنية.

وقد نحى سيبويه (ت ١٨٠ هـ) منحى الخليل بن أحمد في تحديد ماهية الفواصل ومقارنتها بالقوافي في الشعر، حيث قال: ((وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه ألا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي)).<sup>(٢)</sup>

فالفاصلة عند سيبويه كالقافية في الشعر سواء، وهي تؤدي دوراً مهماً في تنظيم الطابع الصوتي الموسيقي للآية القرآنية، وإبراز المعاني الدلالية لألفاظها في نسق التركيب. كما تؤدي القافية دورها في عملية المحافظة على تناسق أواخر أبيات القصيدة الشعرية، وانتظام معانيها الدلالية أيضاً.

أما الفراء (ت ٢٠٧ هـ) فقد حذا حذو الخليل وسيبويه في تحديد الفاصلة عند كلامه عن قوله تعالى: ((وَلَيْنَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ)).<sup>(٣)</sup> إذ يرى أنّ الفاصلة هنا قد ثنيت، وذلك رعاية للفاصلة التي قبلها والتي تأتي بعدها، على هذا النمط الوزني المتكرر الذي تتسم به فواصل سورة الرحمن في تشكيلها الصوتي.<sup>(٤)</sup>

وقد تخرز بعض علماء اللغة القدماء من إطلاق لفظة (السَّجْع) على (الفاصلة القرآنية)، فقد عرّف هذا الموقف عن الرماني (ت ٣٨٦ هـ)، وتابعه فيه الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، إذ عرّف الرماني الفواصل بأنّها: ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والاسجاع عيب، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأمّا الاسجاع فالمعاني تابعة لها، وهي قلب توجبه الحكمة في الدلالة، إذ كان الغرض الذي هو حكمه إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسّة)).<sup>(٥)</sup>

(١) العين: ١/٢١٤.

(٢) الكتاب: ٤/١٨٤ - ١٨٥.

(٣) سورة الرحمن: ٥٥/٤٦.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ٣/١١٨.

(٥) النكت في إعجاز القرآن: ٨٩ - ٩٠.

والى هذا الرأي ذهب أبو بكر الباقلاني في تعريفه للفواصل، قائلاً: ((وأما الفواصل، فهي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة، والاسجاع عيب، لأن السجع يتبع المعنى، والفواصل تابعة للمعاني، (...))، ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة، كما قد تقع على حروفٍ متقاربة، ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل، لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة، لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي، وإقامة الوزن)).<sup>(١)</sup>

ويقصد هنا من قوله (إفهام المعاني)، أنها تعقيبٌ على المعاني التي تضمنتها الآية تزيدها وضوحاً وبيانا، فهي كتلخيصٍ لمعنى الآية تظهر المعنى المراد وتقرره.

وهنا ما نجدهُ في المشاهد القرآنية، حيث يتناسق الايقاع والمعنى فيما قبل الفاصلة وما بعدها بصورةٍ منتظمةٍ ومتناسقةٍ.

وقد ذهب الى هذا أحد الدارسين المحدثين، إذ يرى: ((أن نظام التفويج في الفواصل القرآنية يقوم على أساس محكم، يتصل بالمعاني أولاً، ثم بالناحية الجمالية والفنية ثانياً، وهذا ما يجعل المتلقي - قارئاً أو سامعاً - يقف مبهوراً أمام هذا النظام الذي يولي البناء الداخلي أهمية كبيرة، لا تقل عن اهتمامه بالبناء الشكلي والخارجي للنص. فالجانبان الداخلي والخارجي مرتبطان يؤدي كل منهما دوره بشكلٍ منتظمٍ ومتناسقٍ، يشكل ذلك - بعداً منسجماً يؤدي الغاية الأساسية من وجوده)).<sup>(٢)</sup>

أما الداني (ت ٤٤٤ هـ ٩) فقد حدد الفاصلة في الكلام، بأنها: ((كلمة آخر الجملة)).<sup>(٣)</sup> وقد فرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، إذ يقول: ((أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأسية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين)).<sup>(٤)</sup>

في حين نجد الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) لا يضع أي فرق بين رأس الآية والفاصلة، بل يجد أن الفاصلة تمثل آخر الآية القرآنية، فالفاصلة أذن كما يراها: ((ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجماً)).<sup>(٥)</sup>

(١) إعجاز القرآن: ٢٤٤.

(٢) الايقاع انماطه، ودلالاته في لغة القرآن / دراسة أسلوبية دلالية (عبد الواحد زيارة اسكندر)، رسالة ماجستير، ١٩٩٥: ٥٧.

(٣) الاتقان في علوم القرآن: ٩٦/٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٥٣/١.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٥٣.

ومن المحدثين الدكتور مصطفى النحاس، فقد فرق بين الفواصل من الناحية الوظيفية، وقسمها الى نوعين هما:

١- الفواصل في النطق: ويقصد بها: ((تلك الوقفات أو الاستراحات أو السكنات التي تقع في الكلام المنطوق، لا لضيق النفس، وانما لإفادة معنى وظيفي معين، صوتي أو صرفي أو نحوي أو دلالي)).<sup>(١)</sup>

٢- الفواصل في الكتابة: وهي: ((تلك الادوات أو الحروف التي توجد في الكلام المكتوب، وتقوم مقام الوقفة أو السكنة أو الاستراحة في الكلام المنطوق)).<sup>(٢)</sup>

يبدو لنا مما تقدم أنّ الفاصلة تمثل رأس الآية، وذلك أنّ الكلام ينفصل في آخر الآية عمّا قبله وعمّا بعده، ولذا ينتج عن ذلك تمام المعنى وسهولة الفهم. أي أنّ ((القرآن الكريم لا يُعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق بل هو يحسب لكل ذلك حسابه فهو يختار الفاصلة مراعي فيها المعنى والسياق والجرس ومراعي فيها خواتم الآي وجوّ السورة، ومراعي فيها كلّ الامور التعبيرية والفنية الاخرى بل مراعي فيها الى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله)).<sup>(٣)</sup>

أما فيما يخصّ علاقة السجع بالفواصل، فقد اختلط هذا المفهوم عند معظم الدارسين القدماء، ممّا أدى الى اضطراب في الآراء نتيجةً لهذا الخلط. وخيرت من فرق بين الفاصلة والسجع، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، فعَدَّ السجع نوعاً من الفواصل أي أنّ السجع أخصّ لديه من الفاصلة، بينما الفاصلة تكون أعمّ وأشمل، حيثُ قال: ((والفواصل على ضربين: ضربٌ يكون سجعاً، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع وضربٌ لا يكون سجعاً وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كلّ واحدٍ من هذين القسمين - أعني المتماثل والمتقارب - من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً تابِعاً للمعاني)).<sup>(٤)</sup> أي أنّ السمة البارزة عند ابن سنان في التفريق بين السجع والفواصل هي تماثل الحروف في المقاطع سواء أكان في القرآن أو الكلام العادي.

وقد سميت الفواصل عدّة تسمياتٍ عند بعض علماء اللغة القدماء، حيثُ يغلب عليها التباين في أغلب الاحيان، لكنها تنم عن مسمى واحدٍ، مثل رؤوس الآي عند القراء (ت ٢٠٧ هـ).<sup>(٥)</sup>

(١) الفواصل الصوتية في الكلام وأثرها على المواقع النحوية (بحث في مجلة العلوم الانسانية) جامعة الكويت: ١٢٤.

(٢) المرجع نفسه: ١٢٥.

(٣) التعبير القرآني (د. فاضل السامرائي): ٢١١.

(٤) سر الفصاحة: ١٦٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن: ١١٨/٣ و ٢٦٠.

وسمّاها ابن الأثير بحسن النظم السجعي، وأطلق عليها تسمية الفواصل في مواضع أخرى من كتابه. <sup>(١)</sup>

أما فائدة الفواصل أسلوبياً فإنها تقع لتحسين الخطاب وعند الاستراحة في بعض المواضع، وهذا ما أكدّه الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، إذ قال ((تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام تسمى فواصل لأنّه ينفصل عنده الكلامان، وذلك أنّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها)). <sup>(٢)</sup> أي أنّ ما يميز القرآن عن سائر الكتب الأخرى هو وجود الفواصل بين آياته التي تعد أحد أسباب إعجازه.

ويصفُ الزركشي كذلك إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل وتأثيره في اعتدال متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقفه من النفس تأثيراً عظيماً)). <sup>(٣)</sup>

وهذا ما أشار إليه إشارة صريحة ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) وهو من المتقدمين في معرض حديثه عن وصف حسن الاعتدال في النسق الكلامي، قائلاً: ((وعلة كلّ حسنٍ مقبول الاعتدال، كما أنّ علة كلّ قبيحٍ منفي الاضطراب. والنفس تسكن الى كلّ ما وافق هواها، وتقلقُ ممّا يخالفه، ولها احوالٌ تتصرّف بها، فإذا ورد عليها في حالة ما يُخالفها قلقت واستوحشت)). <sup>(٤)</sup> أي كلّما حسن اعتدال الكلام زاد من تقبّل النفس له، وإذا قبح اشمأزت النفس منه ونفرت.

ومن المحدثين الدكتور مصطفى صادق الرافعي، فقد ألمع الى الدور الذي تؤديه الفواصل في حسن اتساق النظم الموسيقي للقرآن الكريم وسائر الكلام، حيث قال: ((وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلاّ صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو المدّ، وهو كذلك طبيعي في القرار)). <sup>(٥)</sup> ويضيف معللاً ذلك: ((وهذه طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، وأثرها طبيعي في كلّ نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكن صوت إعجازه الذي يخاطب به كلّ نفس تفهمه، وكلّ نفس لا تفهمه، ثمّ لا يجد من النفوس على أيّ حالٍ إلاّ الإقرار والاستجابة)). <sup>(٦)</sup>

(١) ينظر: المثل السائر: ١/٣٧٢ وينظر في ذلك الجامع الكبير (للمؤلف نفسه): ٢٥١.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٥٤، وينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٢/٩٧.

(٣) المصدر نفسه: ١/٦٠.

(٤) عيار الشعر: ٢١.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٦.

(٦) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٧.

هذه هي أبرز التعريفات التي ساقها علماء اللغة القدامى والمحدثين في تعريف الفواصل والتفريق بينها وبين السجع في الكلام، وما تؤديه هذه الفواصل من دورٍ في اتساق الالفاظ داخل التركيب اللغوي.

## أهمية الفواصل ودورها في سورة آل عمران:

تكتسب الفواصل القرآنية أهمية كبيرة في تنظيم النسق الصوتي الموسيقي للقرآن الكريم، وهذا يأتي عن طريق انسجام الالفاظ وانسياب النغم في الآيات القرآنية، لذا يزيد الاسلوب القرآني قوة وصلابةً في التعبير، مما له من تأثير واضح الأثر في اذن المتلقي. وهذا ما عبّر عنه ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، إذ قال: ((وجعله الله تعالى القرآن متلواً، لا يُملّ على طول التلاوة ومسموعاً لا تمجّه الاذان، وغضاً لا يخلق من كثرة الردّ، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب)).<sup>(١)</sup>

وتتضح اهمية الفواصل في القرآن الكريم من خلال الموسيقى المنبعثة من آياته، وتكون لذلك: ((موسيقى الفواصل القرآنية أشبه بموسيقى القوافي في الشعر. وبناء القرآن الكريم على الفواصل تأكيداً لقيمتها الموسيقية في الكلام، إذ يتوقع الاذن مع توالي الآيات - تكرير صوتي أو عدة أصوات متشابهة)).<sup>(٢)</sup>

إن الاحساس الصوتي بالجمال في آيات القرآن الكريم ناشيء عن الترتيب الذي تضيء عليه فواصله المنتظمة، واعتماده على الانسجام النغمي في ترديد عالٍ لا تملأ الاذان، ما له من أثر يخلق في النفس هزاتٍ داخلية تستجيب له.<sup>(٣)</sup> وتظهر أهمية الفواصل القرآنية في تحديد موسيقى القرآن الكريم من خلال كثرة دوران أصوات المدّ واللّين (الالف والواو والياء) قبل صوت النون المجهورة المتوسطة بين الشدة والرخاوة في الفواصل، وما لها من أثر سمعيّ عالٍ للتطريب والترنم، وذلك لما تحتويه من ترددٍ سمعيّ عالٍ، مما جعل أغلب فواصل القرين تأتي على أعذب مقطع، وأسهل موقف، يؤثر في اذن المتلقي.<sup>(٤)</sup> ومما ورد من ذلك في سورة آل عمران قوله تعالى: ((فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ)).<sup>(٥)</sup>

(١) تأويل مشكل القرآن: ٣.

(٢) من صور الاعجاز الصوتي للقرآن الكريم: ٨٥.

(٣) ينظر: أثر القرآن في تطور النقد الادبي الى آخر القرن الرابع الهجري، (د. محمد زغلول سلام): ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٦٨ / ١ - ٦٩.

(٥) سورة آل عمران: ٦٣ / ٣.

نجدُ هنا أنَّ انسجاماً صوتياً بين فاصلة النون المسبوقة بصوت المدِّ (الياء) وخصوصاً في كلمة (المفسدين)، وبين ألفاظ الآية الأخرى في أصواتها ذات الصفات المختلفة مما ينتج عنه بيان دلالة الآية الكريمة وهي كون الله سبحانه وتعالى يعلمُ بمن بقي على دينه، ويعلم كذلك بالمفسدين الذين تركوا دينهم عنوة.

ومنهُ كذلك قوله تعالى: ((وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)).<sup>(١)</sup> فإننا نجدُ هنا أنَّ تناغماً صوتياً قد حصل بين فاصلة النون المسبوقة بصوت المدِّ (الواو) في كلمة (يَشْعُرُونَ)، مع بقية الاصوات الأخرى في الفاظ الآية الكريمة، مما أدى هذا التناغم الصوتي بين فاصلة النون وغيرها من الاصوات الى بيان الدلالة الوظيفية لهذه الآية والمتمثلة في تضليل أهل الكتاب للمسلمين في دينهم الجديد واخراجهم منه بشتى الوسائل المتاحة لديهم.

ولذلك كله تُعدُّ: ((فواصل القرآن كلها بلاغةً ومكتمةً، لأنها طريق الى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورةٍ يُدَلُّ بها عليها)).<sup>(٢)</sup> لأنَّ: ((الفواصل تابعة للمعاني، وأمّا الاسجاع فالمعاني تابعة لها)).<sup>(٣)</sup>

وتتبن أهمية الفواصل عند الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) في تحديد مواقع الاستراحة في الخطاب، أي أن: ((موقع الاستراحة في الخطاب يرجع الى الفواصل لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام)).<sup>(٤)</sup> ولذلك فقد ميزت الفواصل القرآن الكريم عن بقية اجناس الكتب وجعلته نمطاً خاصاً يختلف عن انماط الكلام العربي الفصيح، كالذي يتمثل في الشعر والنثر قبل الاسلام، فإنّه أصبح بعد الاسلام قرآناً وشعراً ونثراً. ولذا لم تُعدَّ الفواصل أسجاعاً تشریفاً وتنزيهاً للقرآن الكريم على ان يُستعار له لفظ من صوت طائر أو هديل حمامة، أو سجع من كلام الناس.<sup>(٥)</sup>

وخير من نبه على إبراز دور الفواصل في أسلوب القرآن الكريم القراء (ت ٢٠٧)، وذلك يتضحُ في ترجيحه بعض القراءات القرآنية على البعض الآخر، إذ يقول في حديثه عن قوله تعالى: ((إِذَا كُنَّا عِظَمًا نَاحِرَةً)).<sup>(٦)</sup> إنَّ الخليفة: ((عمر بن الخطاب سُمع وهو يقرؤها ((إِذَا كُنَّا

(١) سورة آل عمران: ٦٩/٣.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٩٠.

(٣) المصدر نفسه: ٨٩ - وينظر: سر الفصاحة: ١٦٥.

(٤) إعجاز القرآن: ٧٨.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٥٤.

(٦) النازعات: ٧٩/١١.

عِظَامًا نَخِرَةً))، وهي أجود الوجهين في القراءة، لأن الآيات بالألف، إلا ترى أن (نَاخِرَةَ) مع (الْحَافِرَةَ) و (الساھِرَةَ) أشبه بمجيء التنزيل و (النَاخِرَةَ) و (النَخِرَةَ) سواء في المعنى بمنزلة (الطامع) و(الطمع)، و(الباخل والبخل)).<sup>(١)</sup>

إنّ ترجيح القراء لهذه القراءة ناتج عن ملاحظة التشاكل الصوتي بين الفواصل، ممّا يحدث هذا التشاكل انسجاماً صوتياً وترابطاً عضوياً في السياق اللغوي للقرآن الكريم.

وقد رجّح القراء كذلك قراءة من قرأ من القراء بحذف الياء في عبارة (من يسري) في قوله تعالى: ((وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرَ)).<sup>(٢)</sup> إذ يقول فيها: ((وحذفها أحبُّ اليّ لمشاكلتها رؤوس الآيات، ولأنّ العرب قد تحذف الياء، وتكتفي بكسر ما قبلها)).<sup>(٣)</sup> وهو هنا يراعي النسق الصوتي وانسجامه مع بقية الفواصل الأخرى.

وذكر القراء وجهاً آخراً للحذف في الأسلوب القرآني، ولكن إذا عُرِفَ المعنى ودلّ عليه دليل سابق لاتفاق الفواصل مع بعضها ولذلك يجتمع هنا الحذف ومراعاة الفاصلة، كما في قوله تعالى: ((مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)).<sup>(٤)</sup> أي أنه يريد هنا وَمَا قَلَكَ: ((فَأَلْقَيْتُ الكَافَ، كما يقول: قد أعطيتك وأحسنّت. ومعناه: أحسنّت إليك، فتكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى، لأنّ رؤوس الآيات بالياء، فاجتمع ذلك فيه)).<sup>(٥)</sup>

أي أنّ القراء هنا لم يعدّ المشكلة في الفواصل أو تشابهها السبب الوحيد الى العدول بالأسلوب القرآني من شكل الى آخر، وإنما قرّن ذلك بوضوح المعنى للنصّ القرآني، وكأنه يرى أنّ الاعجاز القرآني حسب بسبب الفواصل، وإنما الى وضوح المعنى فيه.

وتعدّ آراء القراء من الدراسات القديمة المهمة لكشف الاثر الصوتي للفواصل في الآيات القرآنية، وكذلك لدراسة المواضيع التي عدل فيها الأسلوب القرآني عن الاصول مراعاةً للانسجام الموسيقي في نظمه ولفظه (أيّ معناه)، وهذا مما اصطلح عليه بمناسبة الايقاع في مقاطع الفواصل.

(١) معاني القرآن: ٣/ ٢٣١

(٢) الفجر: ٤/ ٨٩.

(٣) معاني القرآن: ٣/ ٢٦٠.

(٤) الضحى: ٣/ ٩٣.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ٢٧٣ - ٢٧٤.

## أقسام الفواصل في سورة آل عمران

بعد أن ألمعنا الى أهمية الفواصل في تشكيل النسق القرآني وتنظيمه من الناحيتين الصوتية والموسيقية، وما لهما من أثر واضح في التعبير القرآني، لا بد لنا من دراسة أقسام الفواصل مطبقة على ثنايا سورة آل عمران، حيث قُسمت الفواصل القرآنية الى قسمين، وقد روعي في كل قسم جانب معين، ولذلك جاء القسم الاول بحسب الحروف، وأما الثاني فبحسب المقاطع.

### القسم الاول:

يكون بحسب الحروف التي تتكون منها الفواصل، وهو على نوعين:

#### ١- الفواصل المتماثلة:

وهي ما كانت على حروفٍ متجانسةٍ، وهي أن يتكرّر في الفواصل حرفٌ واحد كحرف الروي في الشعر. <sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ((يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ سِوَاللَّهِ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ)). <sup>(٢)</sup> فقد جاءت الفواصل هنا على حرفٍ واحدٍ وهو صوت النون المجهورة ذات التردد السمعي العالي، ومما زاد هذا التردد وضوحاً سبقها بصوت المدّ (الياء)، لذلك أحدثت انسجاماً صوتياً بينها وبين الاصوات في الالفاظ التي قبلها وما بعدها وهي (يُؤْمِنُونَ، وَيَأْمُرُونَ، وَيَنْهَوْنَ، وَيُسَارِعُونَ، وَمِنْ خَيْرٍ) مما ساعد على اتساق النسق التركيبي لها والافصح عن الدلالات الوظيفية لها والمتمثلة في: ((ان هؤلاء الذين هذه صفتهم من اهل الكتاب هم من عداد الصالحين، ...)) والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته، واجتناب معاصيه، وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يشبههم عليها، ويجازيهم بها)). <sup>(٣)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) <sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٩٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١١٤ - ١١٥.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٦/ ٤ - ٥٧.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ٩٨ - ٩٩.

فقد جاءت الفواصل هنا باللفظتين (تَعْمَلُونَ، وَتَعْمَلُونَ) منتهية بصوت النون المسبوق بحرف المدّ (الواو)، فأحدث صوت النون انسجاماً صوتياً مع بقية الاصوات المكوّنة لألفاظ الآيات كما في (تَكْفُرُونَ، وَتَصُدُّونَ، وَتَبْغُونَهَا) ممّا ساعد هذا الانسجام الصوتي على إظهار المعاني الدلالية لها وهي أنّ اليهود يجحدون حجج الله التي أنزلها على النبي محمد (ص) في كتبهم، والتي اثبتها الله عليهم بصدقه ونبوته وأنهم يعلمون بها، فضلاً عن ان الله ليس بغافل عن اعمالهم التي عملوها بحق عباده وغير ذلك من الاعمال التي تستحق العقوبة عاجلاً أم آجلاً. <sup>(١)</sup>

## ٢- الفواصل المتقاربة:

وهي ما كانت على حروفٍ متقاربة، والتي تتشابه في بعض الصفات الصوتية، وتعطي أنهماً سياقيةً متنوعاً، كصوتي الميم والنون. <sup>(٢)</sup> ومما جاء منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). <sup>(٣)</sup>

فقد جاءت الفواصل هنا في اللفظتين (الْعَالَمِينَ، وَعَلِيمٌ) التي تنتهي بصوتي النون والميم المتشابهين في كونها يجملان نفس الصفات الصوتية من ناحية الجهر وقوة التردد السمعي وخصوصاً أنها مسبوقة بصوت المدّ الطويل (الياء) ممّا ساعد على حصول الانسجام الصوتي بينهما وبين باقي الاصوات في الفاظ الآيات والتي تحمل نفس الصفات أو تختلف بعض الشيء وقد سبب هذا الانسجام الصوتي ظهور الدلالات الوظيفية لتلك الالفاظ التي تدلّ على أنّ: ((آدم ونوحاً فردين، وذكر آل ابراهيم وآل عمران أسرتين إشارة الى أنّ آدم بشخصه ونوحاً بشخصه هما اللذان وقّع عليهما الاصطفاء. فأما ابراهيم وعمران فقد كان الاصطفاء لهما ولذريتهما كذلك)). <sup>(٤)</sup>

ومما جاء منه قوله تعالى: ((ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ \* إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)). <sup>(٥)</sup> نلاحظ هنا أن الفواصل قد انتهت بصوتي (النون والميم) في اللفظتين (الْحَكِيمِ وَيَكُونُ)، واللذين يتصفان بأنهما من الاصوات المجهورة ذات التردد السمعيّ العالي خاصةً وأنهما قد سبقا بصوتي المدّ (الياء والواو)، مما ساعد على زيادة

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/ ٢٢ - ٢٣.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٩٠.

(٣) سورة آل عمران: ٣٣/ ٣٤.

(٤) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٩١.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ٥٨ - ٥٩.

في الانسجام الصوتي بين الميم والنون وبقية الاصوات الاخرى في سياق ألفاظ الآيات نتج عن ذلك وضوح الدلالات اللفظية لها، وهي أن الله خالق الكون وواهب الحياة، وأنها نفخة من روجه، وأن الأمر فيها بكلمة منه حلّ ثناؤه كن فيكون. (١)

أي أننا نجد من خلال هذه الامثلة، أن التقارب بين الحروف في هذا النوع من الفواصل كثير الورد في سورة آل عمران، مما يخلق لها نسقاً صوتياً ذا موسيقى عالية جداً داخل هذه السورة، وذلك لطول فواصلها في جميع آياتها، مما يساعد على إظهار معانيها الدلالية.

ومن الحروف المتقاربة أيضاً (الدال والباء)، كما في قوله تعالى: ((رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)). (٢) فقد جاءت الفواصل بصوتي (الباء والدال) في اللفظتين (الوَهَّابُ والمِيعَادُ) وهما من الاصوات الانفجارية المجهورة، ذات المخارج المتقاربة، وذات التردد السمعّي العالي، ذلك لسبقها بصوت المدّ الطويل (الالف) مما ساعد على حصول الانسجام الصوتي بينها وبين بقية الاصوات في ألفاظ الآيات، أفصح عن بيان الدلالة اللفظية لها، وهي أن المؤمنين: ((وهم بوحى إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرّون على شيء إلاّ بفضل الله ورحمته. وأنهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد الله... فيتجهون إليه بالدعاء أن يمدّهم بالعون والحياة)). (٣)

## التقسيم الثاني:

وهو أن تكون الفواصل بحسب المقاطع وهو على نوعين ايضاً:  
أ- وهو ما يختصّ بوزن الفواصل وحروفها، أي ينظر الى وزن الكلمات التي تقع كفواصل، وكذلك الى حروف الروي فيها، وتنقسم الى أربعة اقسام:

### ١- الفواصل المتوازية:

وهي أن تتفق الكلمتان في الوزن والحرف. كقوله تعالى: ((وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ)). (٤) حيث نجد أن فواصل هذه الآيات قد جاءت باللفظتين (يَشْعُرُونَ، تَسْهَدُونَ)،

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ٣٩٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٨ - ٩.

(٣) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٧١.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ٦٩ - ٧٠.

وهما معدلتان في الوزن وفي صوت الفاصلة النون المجهورة المسبوقة بصوت المدّ (الواو)، مما ساعد على ثبوت الانسجام الصوتي بين صوت النون وبقية الاصوات في الالفاظ الاخرى والتي تحمل نفس الصفات الصوتية أو تختلف بعض الشيء، مما نتج عن ذلك ظهور المعاني الدلالية لها، وهي: ((تويخ لأهل الكتاب على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وجحودهم بنبوته، وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم حق، وأنه من عند الله)).<sup>(١)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)).<sup>(٢)</sup> فقد جاءت فواصل هذه الآيات متتهمة باللفظتين (المُشْرِكِينَ، والمُؤْمِنِينَ). بصوت النون المجهور المسبوق بصوت المدّ (الياء)، ذات التردد السمعى العالى، ومما نجده هنا أن هذه الالفاظ متساوية في عدد الاحرف والوزن، مما جعل توازياً ملحوظاً في النسق الصوتي الموسيقي لها، نتيجة التلاؤم الصوتي الحاصل بين ألفاظها وصوت الفاصلة، مما ينتج عنه إظهار المعنى الدلالي لها، وهو: ((تكذيب من الله عزّ وجل دعوى الذين جادلوا في إبراهيم وملّته من اليهود والنصارى وأدعوا أنه كان على ملّتهم، وتبرّته لهم منه، وأنهم لدينه مخالفون، وقضاء منه عزّ وجل لأهل الاسلام، ولامة محمد صلى الله عليه وسلم انهم هم أهل دينه، وعلى مناجهه وشرائعه دون سائر أهل الملل والاديان غيرهم)).<sup>(٣)</sup>

## ٢- الفواصل المتوازنة:

وهي الفواصل التي تقوم على مراعاة النون دون حرف الروي، كقوله تعالى: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَّعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وُوفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)).<sup>(٤)</sup> فقد جاء الفاصلة هنا في اللفظتين (يَفْقَهُونَ، يُظْلَمُونَ) وقد انتهت بصوت النون المجهور المسبوق بصوت المدّ الطويل (الواو) مما ساعد هذا التردد السمعى الذي اكتسبه النون الى زيادة الانسجام الصوتي بينها وبين أصوات الالفاظ الاخرى في النسق الصوتي، وزيادة التوازن فيها. وبيان المعنى الدلالي المتمثل بأن: ((هؤلاء الذين دُعوا الى كتاب الله ليحكم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، انها أبو الاجابة في حكم التوراة وما فيها من الحق من أجل قولهم، (...)) فأى حال يكون حال هؤلاء القوم الذين

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٣٠٩.

(٢) سورة آل عمران: ٦٧ - ٦٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٣٠٦.

(٤) سورة آل عمران: ٢٤ - ٢٥.

قالوا هذا القول، وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله واغترارهم برّبهم، وافترائهم الكذب)).<sup>(١)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ)).<sup>(٢)</sup> فقد جاءت الفاصلة هنا باللفظتين (ناصريين، والظالمين) المتوازنتين، في عدد الحروف، فضلاً عن انتهاء كل منهما بصوت النون المجهور المسبوق بصوت المدّ (الياء) مما زاد في تردها السمعي، وازدواج التناسق الصوتي على الالفاظ وبيان دلالتها اللفظية المتمثلة في: ((الذين جحدوا بشوتك يا عيسى، وخالفوا ملتك، وكذبوا بما جئتهم به من الحق، وقالوا فيك الباطل، وأضافوك الى غير الذي ينبغي أن يضيفوك إليه من اليهود والنصارى وسائر أصناف الاديان، فإني اعدّهم عذاباً شديداً)).<sup>(٣)</sup>

### ٣- الفواصل المطرفة:

وهي أن تتفق الفاصلتان في الحروف فحسب، كقوله تعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ \* لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)).<sup>(٤)</sup> فقد جاءت الفواصل المطرفة هنا في اللفظتين (الغُرور و الأمور) التي تنتهي بصوت (راء) التكراري المجهور ذي التردد السمعي العالي، خصوصاً وأنه قد سبق بصوت المدّ الطويل (الواو)، مما أدى الى زيادة التنغيم والتناسق بينه وبين بقية الاصوات في الالفاظ الاخرى، مما أفصح عن بيان الدلالة الوظيفية لها، وهي علم: ((الجماعة المسلمة في المدينة ما ينتظرها من تضحيات والآم. وما ينتظرها من أذى وبلاء في الأنفس والأموال، من اهل الكتاب من حولها، ومن المشركين أعدائها، ولكنها سارت في الطريق، لم تتخاذل، ولم تتراجع، ولم تنكص على أعقابها)).<sup>(٥)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٥٦ - ٥٧.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٢٩٣.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٨٥ - ١٨٦.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/ ٥٤٠.

الأبْرَارِ)).<sup>(١)</sup> فقد جاءت الفواصل المطرفة هنا في اللفظتين (أَنْصَارٍ، وَأَبْرَارٍ) المنتهية بصوت الراء التكراري المجهور المسبوق بصوت المدّ الطويل (الالف) مما ساعد على زيادة تردده السمعي، فضلاً عن التنعيم الصوتي الحاصل بين الراء وبقية الاصوات الاخرى في الالفاظ المتسقة، مما يؤدي الى إظهار الدلالات الوظيفية لها، في كون قلوب المؤمنين مفتوحة: ((ما إن تتلقى حتى تستجيب وحتى تستيقظ فيها الحساسية الشديدة، فتبحث أول ما تبحث عن تقصيرها وذنوبها ومعصيتها، فتتجه إلى ربه تطلب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والوفاة مع الابرار)).<sup>(٢)</sup>

#### ٤- الفواصل المرصعة:

وهي أن يتفق المقطعان في ثلاثة أشياء هي الوزن والحرف وتقابل المقاطع. ومما جاء منه قوله تعالى: ((لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)).<sup>(٣)</sup> فقد جاءت الفواصل المرصعة في اللفظتين (الْبِلَادِ، وَالْمِهَادُ)، التي تنتهي بصوت الدال المجهور المتوسط بين السدّة والرخاوة ذي التردد السمعي العالي، ومما زاد في تردده سبقه بصوت المدّ (الالف) الطويلة، زيادةً في تنعيمه مع بقية الاصوات في الالفاظ المتسقة في النسق اللفظي لهذه الآيات، إذ أفصح ذلك عن بيان المعاني الدلالية لهذه الالفاظ، وهي قوله تعالى لنبيه محمد (ص): ((ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، يعني تصرفهم في الارض وضربهم فيها)).<sup>(٤)</sup> وقد أوضح ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) شرطاً من شروط الفواصل المرصعة، إذ يرى أن يكون هناك اختلاف في كلمات المقطعين وهو شرط من شروط الترصيع، في الفواصل.<sup>(٥)</sup>

#### ٥- الفواصل ذات المقاطع المتماثلة:

وهي أن يتساوى المقطعان في الوزن معاً، ويجب أن تكون الكلمات في المقطعين متساوية.<sup>(٦)</sup> ومما جاء منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((وَلَيْنَ فَتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ \* وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)).<sup>(٧)</sup> فقد جاءت الفواصل هنا باللفظتين

(١) سورة آل عمران: ٣/١٩٢ - ١٩٣

(٢) في ظلال القرآن: ٤/٥٤٧.

(٣) سورة آل عمران: ٣/١٩٦ - ١٩٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/٢١٧.

(٥) ينظر: المثل السائر: ١/٣٦١.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٧٦.

(٧) سورة آل عمران: ٣/١٥٧ - ١٥٨

(يَجْمَعُونَ، وَتُحْشَرُونَ)، وكذلك في الكلمات (مُتَّمٌ، وَقُتِلْتُمْ) متوازية ومتقابلة في عدد الحروف. مما يُشكّل تناسقاً صوتياً، ساعد في إظهار الدلالات اللفظية لتلك الالفاظ المتسقة في هذه الآيات، وهي: ((لئن مُتَّمٌ أو قُتِلْتُمْ أيها المؤمنون، فإنّ إليّ مرجعكم ومحشركم، فأجازيكم بأعمالكم، فأثروا ما يُقربكم من الله، ويُوجب لكم رضاه، ويُقربكم من الجنة)).<sup>(٣)</sup>

ب- وهو ما يختص بطول المقاطع في الفاصلتين أو مجموعة الفواصل، وهو على ثلاثة اقسام:

## ١- الفواصل القصيرة:

وهي ما كانت مؤلّفة من لفظتين أو اكثر، ومنه قوله تعالى: ((الم \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)).<sup>(٣)</sup> فقد جاءت الفواصل القصيرة هنا باللفظتين (الم، الْقَيُّومُ)، المنتهية بصوت الميم الشفوي المجهور ذي التردد السمعى العالى، مما يخلق انسجاماً صوتياً بينه وبين الأصوات الأخرى في الالفاظ المكوّنة للسياق في هذه الآيات، مما يساعد على إبراز الدلالة اللفظية المتمثلة: ((بإعلان الوحدانية المطلقة لذات الله وصفاته)).<sup>(٣)</sup>

ومنهُ قوله تعالى: ((لَا يَغْرُنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُوَاهِمُ جَهَنَّمَ: وَبِئْسَ الْمِهَادُ)).<sup>(٤)</sup> فقد جاءت الفواصل القصيرة في اللفظتين (الْبِلَادِ، وَالْمِهَادُ)، التي تنتهي بصوت الدال المجهور ذي التردد السمعى العالى، خصوصاً وأنه قد سبق بصوت المدّ الطويل (الألف)، مما زاد في انسجامه مع أصوات الالفاظ المكوّنة لسبق الآيات الكريمة، لذا قد أفصح هذا الانسجام الصوتي عن بيان الدلالات الوظيفية للألفاظ وهي وصف: ((تقلب الذين كفروا في البلاد، مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحبيك في القلوب منه شيء لا محالة ويحبيك منه شيء في قلوب المؤمنين، وهم يعانون الشظف والحرمان ويعانون الاذى والجهد، ويعانون المطاردة أو الجهاد. . وكلّها مشقّات وأهوال)).<sup>(٥)</sup>

## ٢- الفواصل المتوسطة:

(١) جامع البيان عن تاويل آي القرآن: ٤/ ١٥٠

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١ - ٢

(٣) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٦٧.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٩٦ - ١٩٧

(٥) في ظلال القرآن: ٤/ ٥٤٩

وهي ما كانت مؤلفة من ثلاثة ألفاظ أو أربعة أو خمسة أو تزيد على ذلك. ومنه قوله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)).<sup>(١)</sup> فقد جاءت الفواصل المتوسطة في الكلمتين (تَشْهَدُونَ، وَتَعْلَمُونَ)، منتهية بصوت النون المجهور ذي التردد السمعى العالى، نتيجةً لسبقه بصوت المدّ الطويل (الواو) مما زاد في انسجامه مع بقية الاصوات الاخرى المكوّنة لألفاظ الآيات، وساعد هذا الانسجام على تناسق سياقها اللفظي، مما أدى الى بيان الدلالات اللفظية في كون أهل التوراة والانجيل يخلطون بين الحق والباطل، وذلك يتم عن طريق إظهاره بالألسنة والتصديق برسالة النبي محمد (ص) وما جاء به من عند الله، على أن قلوبهم تعمّر بديانة اليهودية والنصرانية.<sup>(٢)</sup> ومنه قوله تعالى: ((رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ \* وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)).<sup>(٣)</sup> فقد جاءت الفواصل المتوسطة هنا في اللفظتين (الشَّاهِدِينَ، وَالْمَاكِرِينَ) منتهيةً بصوت النون المجهور والمتوسط بين الشدّة والرخاوة ومما زاد في تردده السمعى سبقه بصوت المدّ الطويل (الياء) ذي التردد السمعى العالى جداً، فقد ساعد هذا الانسجام الصوتي بين النون وبقية الاصوات في النسق اللفظي على إظهار الدلالات اللفظية في أن اليهود: ((أرادوا صلب عيسى - عليه السلام - وقتله. وأراد الله أن يتوفاه، وأن يرفعه إليه، وأن يطره من مخالطة الذين كفروا والبقاء بينهم وهم رجس وذنس، وأن يكرمه فيجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة، وكان ما أراد الله)).<sup>(٤)</sup>

### ٣- الفواصل الطويلة:

وهي الفواصل التي تزيد ألفاظها على العشرة، كقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)).<sup>(٥)</sup> فقد جاءت الفواصل الطويلة هنا باللفظتين (السَّمَاءِ، وَالْحَكِيمُ)، منتهية بصوتي (الهمزة) الحلقية، والميم المجهورة ذات التردد الصوتي العالى، ومما ساعد على حصول الانسجام الصوتي بينها وبين الاصوات الاخرى في النسق التشكيلي للآيات هو سبقها بصوتي المدّ (الالف، والياء)، لذا أدى ذلك الى زيادة هذا التنغيم، وبيان الدلالات الوظيفية للألفاظ المتسقة، التي هي: ((توكيد العلم

(١) سورة آل عمران: ٧٠-٧١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٣١٠.

(٣) سورة آل عمران: ٥٣-٥٤.

(٤) في ظلال القرآن: ٣/ ٤٠٣.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ٥-٦.

المطلق الذي لا يخفى عليه شيء، وإثبات هذه الصفة لله - سبحانه - في هذا المقام، هذا التوكيد يتفق أولاً مع وحدانية الالهية والقوامة، (...)، ذو القدرة والقوة على الصنع والتصوير (الحكيم) الذي يدبر الأمر بحكمته فيما يُصوّر ويخلق بلا مُعقّب ولا شريك))<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ((فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)).<sup>(٢)</sup> نلاحظ هنا أنّ الفواصل الطويلة قد جاءت في الكلمتين (الْفَاسِقُونَ، وَيُرْجَعُونَ) المنتهية بصوت النون المجهورة المسبوقه بصوت المدّ الطويل (الواو)، مما زاد في ترددها السمعي العالي، وكذلك الى زيادة الانسجام الصوتي بين النون وبقية الاصوات الاخرى في نسق الآيات، نتج عنه اتضاح الدلالات الوظيفية للألفاظ في هذا النسق الصوتي، وهي أنّ: ((من أعرض عن الايمان برسلي الذين ارسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة، وعن نصرتهم، فأدبر ولم يؤمن بذلك، ولم ينصر، ونكث عهده وميثاقه بعد ذلك، يعني بعد العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه، فأولئك هم الفاسقون)).<sup>(٣)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((حَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)).<sup>(٤)</sup> نجد هنا أنّ الفواصل الطويلة قد جاءت في اللفظتين (يُنظَرُونَ، وَرَحِيمٌ) المنتهية بالنون والميم المجهورتين، والمسبوقتين بصوتي المدّ (الواو، والياء) مما ساعد على زيادة التردد السمعي لهما، فضلاً عن الانسجام الصوتي بينهما وبين بقية الاصوات في سياق الالفاظ، نتج عنه بيان الدلالات الوظيفية لألفاظ هذه الآيات وهي في كون: ((الذين لا يتوبون ولا يثوبون. الذين يصرون على الكفر ويزدادون كُفراً. والذين يلجؤون في هذا الكفر حتى تفلت الفرصة المتاحة، وينتهي أمد الاختبار، ويأتي دور الجزاء. هؤلاء وهؤلاء لا توبة لهم ولا نجاة)).<sup>(٥)</sup>

يتضح لنا بعد دراستنا لأقسام الفواصل مطبقة على سورة آل عمران، أنّ هذه الاقسام تنطبق على آيات هذه السورة من حيث الطول أو القصر، وذلك لأنّ: ((تنوع الفواصل بحسب الحروف أو المقاطع لم يرد في القرآن الكريم إلا على نظام يتصل بالمعاني التي يحملها وبالسياق الذي ترد منه تلك المعاني، (...)، إنّ تنوع الفواصل مرتبطٌ بالسورة الواحدة مما يوجد لها كياناً

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٦٨ - ٣٦٩

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٨٢ - ٨٣.

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن: ٣/ ٣٣٥.

(٤) سورة آل عمران: ٨٨ - ٨٩.

(٥) في ظلال القرآن: ٣/ ٤٢٤.

مفرداً عن السور الأخر، على الرغم من أنّ معاني كلّ السور تؤول الى أصول العقيدة الاسلامية)).<sup>(١)</sup>

وقد ألمع الى ذلك الدكتور حامد صادق قنبي، إذ قال: ((وقد جرى العرب كتاباً وخطباء على أنّ يجدوا النغم في فاصلة سجع أو قافية شعر، ولكنّ لنظم القرآن إيقاعاً داخلياً ينبعث حتى من اللفظة الواحدة بسبب تأخي آياته واتساقها - كلّها - بألفاظها ومعانيها وجرسها وإيقاعها مع السياق الذي يُعرض فيها، ومهما حاولنا أن نعرف سرّ هذا النغم، وذلك التأخي عجزنا أن نعرفه على وجه التحقيق، وانما نعرف تأثيره في نفوسنا، وأثره في قلوبنا إذ يعلو بنا الى آفاق سامية)).<sup>(٢)</sup>

إنّ هذا التنوع الموسيقي في آيات السور القرآنية، من حيث طول فواصلها أو قصرها، يقودنا الى التمييز بين نوعين من فواصل السور، مكّية كانت أو مدنية إذ: ((تتميز السور المكية - بوجه عام - ببنائها على الفواصل القصيرة ذات التردد العالي في موسيقاها. أما السور المدنية، فغالباً ما تطول فيها قرائن الفواصل طولاً ملحوظاً. وفي ذلك سرٌّ من أسرار الاعجاز اللغوي في القرآن، وهو مناسبة الخطاب اللغوي في السور المكية لطبيعة المكّيين، فقد كانوا قوماً جبارة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والاخلاق الفاسدة)).<sup>(٣)</sup> أي أنّ: ((ذلك كلّهُ يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذة، غير مسترسلة، وقولٍ جادٍ، حاسمٍ، محذّرٍ، تقصر معه الجمل ويبرز التجانس الصوتي وتعلو الموسيقى. وترتبط هذه السيات الصوتية للخطاب المكّي بحرارة التعبير على المستوى الاسلوبي، إذ يكثر في السور المكية أسلوب الفهم وأسلوب الاستفهام الانكاري والتحذير والوعيد وضرب الامثال للإفهام. إنّ قصر الجملة المكية مما يناسب عقول المكّيين وإفهام. وذلك مما نفعله حين نبدأ مع الصغار بتحفيظهم السور القصار)).<sup>(٤)</sup>

أما السور المدنية فأنها تختلف في نوعية الخطاب اللغوي، إذ أنّ: ((الخطاب اللغوي في السور المدنية، فقد كان مسترسلاً، ينزغ الى التفصيل والتوضيح ويتناسب ذلك مع وضع التشريعات والتعاليم الدينية، وشرح حدود العقيدة بعد أن توطّدت دعائم الدين الجديد، وكلّ ذلك يشهد على تلوّن الخطاب القرآني مع تغير الاحوال والمقتضيات وطبيعة المخاطبين)).<sup>(٥)</sup>

ومن السور المدنية التي ينطبق عليها هذا الوصف سورة آل عمران التي تتميز بطول آياتها وفواصلها، ذات التعبير الموسيقي الهادئ الذي ينزغ الى التفصيل والتوضيح، ويتناسب مع ما

(١) الاسلوب في الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم، رسالة دكتوراه (محمد عبد الكريم الكوازي)، ٢٩١: ١٩٩٠.

(٢) المشاهد في القرآن الكريم - دراسة تحليلية وصفية: ٤٨٨.

(٣) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٨٧ - ٨٨.

(٤) المرجع نفسه: ٨٨.

(٥) المرجع نفسه: ٨٨.

جاءت من أجله السورة، إذ أُنْثِمَا انقسمت الى قسمين، تمثل القسم الاول في بيان الامور التي من أجلها نزل القرآن وباقي الكتب السماوية، وكذلك بيان بعض التشريعات والتعاليم الدينية التي تخص المسلمين في حياتهم اليومية. أما القسم الثاني فقد تمثل في بيان حالة المسلمين في معركة أحد وما أصابهم من أذى وقرح كبير نتيجة مخالفة أوامر الرسول محمد (ص).

ومما ساعد في إبراز هذه الامور مجتمعة التشكيل الصوتي الموسيقي الذي تتمتع به آيات أو فواصل هذه السور البالغ عددها (٢٠٠) آية، إذ غابت على فواصلها الاصوات ذات التردد السمعى العالى والايضاح القوي، ومن هذه الاصوات صوت النون المجهورة المتوسطة بين الشدة والرخاوة، حيث جاءت بنسبة (١٢١) مرة، وهي أعلى النسب في فواصل هذه السورة، والميم الأنفية بنسبة (٣١) مرة، والراء التكرارية المجهورة بنسبة (٢٣) مرة. فضلاً عن باقي الاصوات بنسب متفاوتة (كالباء، والبدال، والسلام والهمزة، والقاف، والطاء).

أي اننا نجد هنا أن صوت النون له الأرجحية في نسب فواصل سورة آل عمران مما يكسبها تنغيماً صوتياً متزناً، فضلاً عما تشكله النون من تناسق صوتي مع بقية الاصوات المكونة لسياق آياتها، مما يساعد في إظهار الوظائف الدلالية للألفاظ في نسق التركيب الصوتي. لذلك تُعدّ النون بصورة عامة في القرآن الكريم، من أثبت الاصوات العربية الساكنة وقوعاً في الفواصل القرآنية، وذلك لطول مدتها الزمنية في السمع، نتيجة ما تحتويه من تردد سمعي عالٍ، ولكونها من أشدّ الاصوات غنة في العربية، ومنه استحققت كميّاً أن تكون أكثر الاصوات الساكنة شيوعاً في فواصل سور القرآن الكريم وسورة آل عمران بصفة خاصة.

ويُضفي تكرار النون في الفواصل القرآنية عاملاً آخرًا هو ما يثيره رنين النون في موقعه السياقي في النفس البشرية من جلالٍ وشجنٍ، يتناسب مع قداسة وعظمة القرآن الكريم، وقوة مؤثرة في النفس المتلقية، لاسيما إذا صورت الفاصلة قمة هذا الرنين، ولا شك أن نظام الفواصل او الفاصلة القرآنية بصفة خاصة، يتطلّب من القارئ الوقوف على رؤوس الآي بالسكون، لتبرز موسيقاها وتستريح الأذان المتلقية الى سماعها كما تستريح الى القوافي الشعرية، ولا تكاد تتضح لنا موسيقى الفواصل إلا بالوقوف على رؤوس الآي.<sup>(١)</sup>

ومن العوامل المهمة في زيادة التنغيم الصوتي للنون هو سبقها بأصوات المدّ واللين (كالألف، والياء، والواو)، وذلك لزيادة وضوحها السمعي، وهذا ما يراه الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في: ((وجود التمكين من التطريب بذلك كما قال سيبويه: انهم إذا ترنّموا يلحقون الالف والياء والنون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنّموا. وجاء في القرآن على أسهل موقف

(١) ينظر: من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٩٢.

وأعذب مقطع))<sup>(١)</sup>، ومما جاء منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ))<sup>(٢)</sup>. فقد جاءت فاصلة النون هنا مسبوقاً بصوت المد الطويل (الياء) زيادةً في الوضوح السمعي لها ولبقية الاصوات الاخرى في نسق الآية.

وقد أشار الى ذلك الدكتور محمد أبو موسى في معرض حديثه عن دور أصوات المد واللين في زيادة الوضوح السمعي لصوت الفاصلة، إذ يقول إن: ((في هذه الفواصل التي بنيت عليها السورة ألوان من التطريب والتنغيم كان لحروف المد واللين فيها أثرٌ بعيد المدى في انطلاق الانفاس الحبيسة أو اللاهته في المواقف المختلفة))<sup>(٣)</sup>.

يتضح لنا مما تقدم أن النون من الاصوات المهمة في تنوع التشكيل الصوتي الموسيقي في القرآن الكريم، وسورة آل عمران بوجه خاص، لما تضيفه على فواصلها من تنغيم صوتي عالٍ يميل الى الهدوء في فواصلها الطويلة.

وفيما يأتي جدول يوضح أنواع الفواصل القرآنية وعددها في سورة آل عمران:

عدد الآيات	نوع الفاصلة
١٢٠	النون
٣١	الميم
٢٣	الراء
١٠	الياء
٩	الذال
٣	اللام
١	القاف
١	الطاء
٢	الهمزة

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/٦٨، وينظر في ذلك الكتاب: ٤/٢٢٤.

(٢) سورة آل عمران: ٣/١٤٢.

(٣) من اسرار التعبير القرآني: دراسة تحليلية لسورة الاحزاب: ١٤٦.

## الاتتلاف السياقي للفواصل القرآنية مع المعنى في سورة آل عمران:

يتميز النسق الصوتي في كتاب الله عزّ وجل، بوجود الفواصل القرآنية التي تفصل ما بعدها عمّا قبلها من الكلام، مع مراعاة المعنى اللفظي لسياق الآية. مما يخلق وحدة عضوية متكاملة ذات معنى مفهوم.

أي أنّ الفواصل القرآنية لا تخرج عن ارتباطها بالمعنى العام للآية، وتكون منسجمة معها بنسقٍ لفظي واحدٍ. وقد درس علماء اللغة هذا الجانب المهم، تحت عنوان (باب اتتلاف الفاصلة مع ما يدلّ عليه سائر الكلام) مستفيدين من جهود النقاد من خلال دراستهم أوجه اتتلاف القافية مع المعنى في الشعر. <sup>(١)</sup> ومن عدة أوجه بديعية منها: التمكين والتصدير والتوشيح والايغال. <sup>(٢)</sup>

### ١- التمكين:

وهو أن يُمهّد قبل مجيء الفاصلة القرآنية، وأن تأتي الفاصلة متمكّنة في مكانها مستقرّة في قرارها، مُطمئنّة في موضوعها، ويكون معناها متعلقاً بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طُرحت اختل المعنى العام، واضطرب فهمه. <sup>(٣)</sup> كما في قوله تعالى: ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ \* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)). <sup>(٤)</sup> حيث جاءت الفاصلة مؤتلفة في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)) مع أول الآية: ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ))، وذلك لأن الطاعة هنا لله والرسول وليست للكافرين. وقد سبق هذه الآية قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). أي أنّ الفاصلة هنا جاءت متمكّنة في معناها لأنّ ما سبقها مهّد لها ذلك المجال الواسع من التمكين.

### ٢- التصدير:

((هو ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها)). <sup>(٥)</sup> ويأتي في الفواصل القرآنية أن تكون اللفظة نفسها تقدّمت في أول الآية، ويكون على ثلاثة أقسام: <sup>(٦)</sup>

(١) ينظر في ذلك كتاب نقد الشعر لقدماء بن جعفر: ١٦٧ - ١٧٠.

(٢) ينظر: بديع القرآن: ٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ٨٩.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ٣٢ - ٣٣.

(٥) كتاب البديع: ٤٧٨، وينظر بديع القرآن: ٣٦.

(٦) ينظر: بديع القرآن: ٣٦.

الاول: أن تُوافق مؤخره الفاصلة أول كلمة في صدرها، كما في قوله تعالى: ((وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)).<sup>(١)</sup> فقد جاءت كلمة (المَاكِرِينَ) وهي نهاية الفاصلة موافقة للكلمة الاولى (مَكَرُوا) في بداية الآية وبذلك تم المعنى المطلوب وهو أن مكر الله سبحانه وتعالى أقوى من مكر هؤلاء أصحاب الكتاب من اليهود.

الثاني: أن تُوافق مؤخره الفاصلة آخر كلمة في صدرها. ومنه قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)).<sup>(٢)</sup> فقد جاءت الفاصلة في كلمة (الشَّاهِدِينَ) وهي هنا موافقة للكلمة في صدر الآية وهي (اشْهَدُوا)، مما أسهم ذلك الاتفاق في بيان المعنى الدلالي للألفاظ في هذه الآية المتمثل في تذكير: ((أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين، يعني حين أخذ ميثاق النبيين. وميثاقهم ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم)).<sup>(٣)</sup>

الثالث: أن تُوافق الفاصلة بعض كلمات الصدر. ومنه قوله تعالى: ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)).<sup>(٤)</sup> فقد جاءت الفاصلة هنا في لفظة (تَكْفُرُونَ)، فهي موافقة للكلمة التي في صدر الآية وهي (أَكْفَرْتُمْ)، مما أدى هذا التوافق الى بيان المعاني الدلالية للآية وهي: ((إن جميع الكفار داخلون في فريق من سُود وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بِيض وجهه)).<sup>(٥)</sup> رحمة من الله جل شأنه.

## ٣- التوشيح:

((وهو أن يكون في أول الكلام معنى إذا عُلِمَ علمت منه القافية أن كان شعراً أو السجع أن كان نثراً، بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه، من جنس معنى القافية، أو السجعة بلفظة، أو من لوازم لفظه)).<sup>(٦)</sup> أي أن يكون في أول الآية ما يستلزم الفاصلة. كما في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة آل عمران: ٣/ ٥٤

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٨١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٣٣٠.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٦.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/ ٤١.

(٦) بديع القرآن: ٩٠.

اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ))<sup>(١)</sup> لذلك نجد: ((أَنْ مَعْنَى اصْطَفَاءِ الذُّكُورِينَ يُعَلِّمُ مِنَ الْفَاعِلَةِ، إِذِ الْمَذْكُورِينَ صَنَّفَ مِنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْعَالَمِينَ))<sup>(٢)</sup>.

## ٤-الايغال:

((وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه، فإذا أراد الاتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام))<sup>(٣)</sup> ولذا سُمِّيَ بهذا المصطلح لأنَّ المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو اخذ فيه، وبلغ فيه زيادةً على الحدِّ الممكن. ومما جاء منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ))<sup>(٤)</sup> فإن الكلام هنا قد تمَّ بقوله تعالى: ((وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ)). فجاء تأكيداً للقول الاول، وهو ((نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)).

نستنتج مما تقدم أن هذه العناصر الاربعة، أي التمكين، والتصدير، والتوشيح، والايغال، تؤدي دوراً مهماً في اتساق الفواصل القرآنية مع المعنى العام للآية. وذلك من خلال تكرار الالفاظ في نهاية الفاصلة أو في مقدمتها ووسطها ونهايتها. مما يخلق نوعاً من التوازن الموسيقي يُضفي جمالاً إيقاعياً، يُنمُّ عنه إظهار الدلالات الوظيفية للالفاظ المتسقة، لذلك تؤثر في الاذن المتلقية فتستعد به وتطمئن له.

## التلاؤم الصوتي:

يعدُّ التلاؤم ركناً من الأركان المهمة في بناء التشكيل الحاصل بين الحروف في الالفاظ والعبارات، من خلال التناسق والتأليف فيما بينها. ويتم ذلك بعيداً عن التنافر والاختلاف في المخارج. لذا يشكّل التلاؤم الصوتي بين الالفاظ المتلائمة ضرباً من الانسجام الصوتي، يضفي على النصّ نمطاً موسيقياً غايةً في الجمال والعدوبة، مما يؤثر تأثيراً كبيراً في إظهار الدلالات الوظيفية للنص بصورةٍ اوضح. ولذلك فقد عوّل علماء اللغة والبلاغة على دراسة هذه الظاهرة المهمة في تشكيل النص. فدرسوا طرائق تركيب الحروف في اللغة من خلال حسن تأليفها وعدم

(١) سورة آل عمران: ٣/٣٣.

(٢) بديع القرآن: ٩٠.

(٣) المصدر نفسه: ٩١. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٣٦٩.

(٤) سورة آل عمران: ٣/٣.

تتافرها، ولهذا فقد بينوا لنا أنّ ظاهرة الانسجام بين الالفاظ المتلائمة تشكل على حدّ قولهم الركيذة الاساسية في بناء التشكيل الصوتي في الكلام.

فهذا ابن طباطبا العلويّ (ت ٣٢٢ هـ) يصف لنا حسن الكلام وعذوبته من خلال حسن نظمه وتأليفه، إذ يقول: ((فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً، مصقياً من كدر العي، مقوماً من أود الخطأ واللحن، سالماً من جور التأليف، موزوناً بميزات الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً اتسعت طرقه، ولطفت مواجئُه، فقبله الفهم وارتاح له، وأنس به)).<sup>(١)</sup>

وقد بين كذلك علّة حسن قبول الكلام واعتدال أجزائه، وعلّة قبحة واضطرابه، من خلال وصفه للشعر وايقاعه المطرب للفهم والصواب، إذ قال: ((وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه. فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحّة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعة ومعقولة من الكدر ثمّ قبوله له، واشتماله عليه، وان نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى، وحسن الالفاظ، كان انكار الفهم إيّاه على قدر نقصان أجزائه)).<sup>(٢)</sup>

أما قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ) فيرى في نعت الالفاظ، أنّ التلاؤم فيها يأتي من سهولة مخارج أصواتها وتآلفها بعضها مع البعض الآخر، ويعدّه من أهم سمات التشكيل الصوتي بين الالفاظ، إذ يقول في وصف اللفظ: ((ان يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة)).<sup>(٣)</sup>

وخيرٌ من خاض في موضوع التلاؤم الصوتي وأثره في تآلف الالفاظ في العبارات واعتدالها، الرّماني (ت ٣٨٦ هـ)، فقد عرّف التلاؤم، إذ قال: ((التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، والتأليف على ثلاثة اوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا، فالتأليف المتنافر كقول الشاعر:

وقبرٌ حربٍ بمكانٍ فقيرٍ      وليسَ قَرَبٍ قَبْرِ حربٍ قبر

وذكروا أنّ هذا من اشعار الجن لأنّه لا يتهيأ لاحدٍ لأنّ ينشده ثلاث مرّات، فلا يتعتع، وانما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف)).<sup>(٤)</sup>

(١) عيار الشعر: ٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢١.

(٣) نقد الشعر: ٧٤.

(٤) النكت في اعجاز القرآن: ٨٧ (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).

وقد أبدى الدكتور محمد سليمان العبد رأيهِ واصفاً هذه الحالة من التنافر بين الحروف وسببها في تكون البيت الشعري، إذ يرى: ((ولم يكن الرماني بحاجة الى وضع أيدينا على مصدر التنافر في مثل هذا البيت، فهو واضح من تكرر ثلاثة أصواتٍ تكراراً متوالياً، وهي: القاف والباء (وهما صوتان انفجاريان مجهوران)، والراء (وهي صوت مكررٌ مجهور)، والتلاعب اللفظي بين الكلمتين (قَبْرٌ) و (قُرْبٌ)، ..)).<sup>(١)</sup>

ويصف الرماني (ت ٣٨٦ هـ) حسن التأليف في الطبقة الوسطى، إذ يقول: ((وأما التأليف المتلائم في الطبقة الوسطى - وهو من أحسنها، فكقول الشاعر:

عَشِيَّةُ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ	رَمْتَنِي وَسَتَرَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
ضَمَنْتُ لَكُمْ إِلَّا يَزَالُ يَهِيمُ	رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَيْرَانَ بَيْتَهَا
وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ	إِلَّا رَبُّ يَوْمَ لَوْ رَمْتَنِي رَمِيَّتَهَا

ولعل اعتبار هذا الوجه من التأليف في الطبقة الوسطى راجع الى الخلو من الاصوات المتقاربة تقارباً ينتج عنه تنافر، فالراء والميم - وهما هنا الصوتان الاكثر تردداً في الابيات - قد تردداً على مسافات متباعدة نسبياً بحيث لا تؤديان الى ثقل أو تنافر)).<sup>(٢)</sup>

وقد حذا أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥) حذو الرماني، في معرض حديثه تحييراً الالفاظ وتلاؤمها مع بعضها في تكوين بنية النص، إذ يرى ان: ((تحيير الالفاظ، وابدال بعضها مع بعض يوجب التام الكلام، وهو أحسن نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظوماً من حروفٍ سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الاطناب والايجاز أليق بموقعه، وأحق بالمقام والحال كان جامعاً للحسن، بارعاً في الفضل)).<sup>(٣)</sup>

أي ان تحيير الالفاظ عنده على ما نظم منها على حروف سهلة المخارج، حتى لا يؤدي استعمال الالفاظ ذات المخارج الصعبة والمتقاربة أو المتباعدة الى تنافر وثقل في نطقها. وأكد كذلك على تشابه الكلام في أول العبارة وآخرها ومطابقة صورهِ لعجزه، إذ يقول: ((وينبغي ان تجعل كلامك مشتبهاً أوله بآخره، ومطابقاً هاديهِ لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطرافه، وتكون الكلمة منه موضوعةً مع أختها، ومقرونةً بلفقها، فإن تنافر الالفاظ من أكبر عيوب

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٦.

(٢) النكت في اعجاز القرآن: ٨٧ - ٨٨ (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).

(٣) كتاب الصناعتين: ١٤١.

الكلام، ولا يكون ما بين ذلك حَشْوٌ يُسْتغنى عنه ويتمّ الكلام دونه)).<sup>(١)</sup> وتمثل لذلك الكلام المتلائم الاجزاء، الذي يخلو من التنافر والاختلاف، في قول أخت عمرو ذي كلب:

فأقْسِمُ يا عمرو لو نبهَاك	إِذَا نَبَهَا مِنْكَ دَاءٌ عَضَّالاً
وَخَرَقِي تَجَاوَزْتَ مَجْهُولَةً	بِوَجْنَاءِ حَرَفٍ تَشَكَّى الكَلَالاً
إِذَا نَبَهَا لَيْثٌ عَرَيْسَةً	مُفِيئَةً مُفِيداً نَفُوساً وَمَالاً
فَكَنْتَ النَهَارَ بِهِ شَمْسَهُ	وَكَنْتَ دُجَى اللَّيْلِ فِيهِ اِهْلَالاً

فجعلته الشمس بالنهار، والهلال بالليل. وقالت: مُفِيئاً مُفِيداً، ثم فسرتُ فقالت: نفوساً ومالاً)).<sup>(٢)</sup>

ويرى ابن أبي الاصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) ان هذه المناسبة والمشكلة الحاصلة بين الالفاظ المؤتلفة، راجع الى الانسجام الذي يحصل بينها نتيجة خروج حروفها من مخارج سهلة وغير متباعدة ولا متقاربة، ويكون هذا الانسجام بأن: ((يأتي الكلام متحدراً كتحدّر الماء المنسجم، بسهولة سبك وعضوية الفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملّة من المنثور، وللبيت من الموزون وقع في النفوس، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره، وان خلا من البديع وبعُد عن التصنيع، وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود، كمثل الكلام المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن الشر عفواً...)).<sup>(٣)</sup>

وأما حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) فيعدّ التلاؤم الصوتي، والانسجام الذي يحصل بين الالفاظ المتلائمة شيئاً ذاتياً لا يمكن معرفة سره وتعليله، وذلك لنسبة التشاكل الذي يحدث في التأليف الصوتي فيما بين الالفاظ في نسق التركيب.<sup>(٤)</sup>

يتبين لنا مما تقدم ان التلاؤم الصوتي يُظهر لنا القيمة الذاتية للألفاظ، لا من حيث ارتباطها بالدلالات الوظيفية لها، وانما من خلال الاستجابة الحسية التي يجدها المتلقي مستمعاً أو قارئاً، وتنشأ هذه الاستجابة من خلال تتابع أصوات الالفاظ في التأليف، وتوالي هذه الالفاظ في النطق من خلال النسق التركيبي لها، وكذلك في الواقع على آذن السامع الذي يفسر دلالها المقصودة، وان سرّ هذا كله يكمن في الانسجام الذي يحصل بين هذه الاصوات في مخارجها السهلة اليسرة في النطق.

(١) المصدر نفسه: ١٤١ - ١٤٢

(٢) المصدر نفسه: ١٤٢.

(٣) بديع القرآن: ١٩٦.

(٤) ينظر: منهاج البلغاء: ٢٢٣.

## التلاؤم الصوتي وأثره في القرآن الكريم:

التلاؤم صفة من الصفات المميزة للنص القرآني في انسجامه الصوتي، سواء أكان ذلك الانسجام على مستوى اللفظة المفردة أم على مستوى النظم في السياق اللغوي ككل، إذ: ((تتميز لغة القرآن بالتلاؤم بين الاصوات، سواء كان ذلك على مستوى المفردة أم على مستوى النظم، فلا تجد في قراءته انتقالاً مفاجئاً بين أصوات شديدة التقارب في المخرج، بحيث يؤدي الى تنافر يعوق التلاوة وجمال الانسجام الموسيقي بين الاصوات، وتجد ذلك على مستوى الصوامت أو الحبيسات، كما تجده على مستوى الحركات أو الطبقات، فالطليقات تتمتع بالتوافق والتجانس فيما بينها)).<sup>(١)</sup> أي أن القرآن الكريم مفيدٌ لمعانيه، مفسحٌ عنها بلفظة وتركيبه وانما كان النظم الصوتي الاطار الجمالي والفني المميز الذي ارتسمت عليه صور تلك المعاني لعقلها والايان بها، وهذا كله رجمة من الله وتيسير لعباده.

وخيرٌ من درس التلاؤم الصوتي في القرآن الكريم، الرماني (ت ٣٨٦ هـ)، إذ عدّ التأليف في لغته من التلاؤم في الطبقة العليا، وهو أعلى أوجه التأليف وأسماها، إذ يقول فيه: ((المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله، وذلك بين لمن تأمله. والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشدَّ إحساساً بذلك وفطنة له من بعض، كما أن بعضهم أشدَّ إحساساً بتميز الموزون في الشعر من المكسور، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والاخلاق. والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشدَّ تلاؤماً)).<sup>(٢)</sup>

أما ابن سنان الحفاجي (ت ٤٦٦ هـ) فقد كان له وجهة نظر أخرى في ظاهرة التلاؤم، فبذهب في كتابه سرّ الفصاحة الى الردّ على حجج الرماني في كون أن القرآن وحده في المرتبة العليا من التأليف وكون الفصيح من كلام العرب في الطبقة الوسطى منه، إذ يقول: ((وهذا الذي ذكره غير صحيح والقسمة فاسدة، وذلك ان التأليف على ضربين: متنافر، ومتلائم، وقد يقع في المتلائم ما بعضه أشدَّ تلاؤماً من بعض على حسب ما يقع في التأليف عليه، ولا يحتاج ان يجعل ذلك قسماً ثالثاً، كما يكون من المتنافر ما بعضه أشدَّ في التنافر وأكثر من بعض. ولم يجعل الرماني قسماً رابعاً، فأما البيتان فليسا في هذا الموضع بأحق من غيرهما، وأما قوله - ان القرآن من المتلائم

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٥.

(٢) النكت في اعجاز القرآن: ٨٨. (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).

في الطبقة العليا وغيره في الطبقة الوسطى، وهو يعني بذلك جميع كلام العرب، فليس الامر على ذلك، ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية)).<sup>(١)</sup>

ويعضد ابن سنان الخفاجي رأيه ويدعم حجته في مسألة كون القرآن الكريم أعلى الطبقات في التأليف، إذ يقول: ((ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الانسان الى نفسه كان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يُضاهي القرآن في تأليفه، ولعلّ أبا الحسن يتخيل ان الاعجاز في القرآن لا يتم إلا بمثل هذه الدعوى الفاسدة، ولأمر بحمد الله أظهر من ان يعضده بمثل هذا القول الذي ينفر عنه كل من شدا من الادب شيئاً، أو عرف من نقد الكلام طرفاً)).<sup>(٢)</sup>

وقد ذهب الرماني أيضاً الى ان التنافر كما يرى الخليل بن أحمد من البعد الشديد أو القرب الشديد بيت مخارج الحروف في اللفاظ، بقوله: ((وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، وذلك أنه إذا بعدُ البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنّه بمنزلة رفع اللسان ورده الى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الادغام والابدال)).<sup>(٣)</sup>

أما ابن سنان الخفاجي فيرى العكس مما يراه الرماني في كون التنافر من البعد الشديد أو القرب الشديد على حدّ قول الخليل، فيقول: ((والذي أذهبُ أنا إليه في هذا ما قدمت ذكره، ولا أرى التنافر في بُعد ما بين مخارج الحروف، وإنما هو في القرب، ويدلّ على صحة ذلك الاعتبار، فإن هذه الكلمة (ألم) غير متنافرة، وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج، لأنّ الهمزة من أقصى الحلق، والميم من الشفتين، واللام متوسطة بينهما، وعلى مذهبه كان يجب أن يكون هذا التأليف متنافراً لأنّه على غاية ما يمكن من البعد، وكذلك (أم و أو)، لأنّ الواو من أبعد الحروف من الهمزة، وليس هذان المثالان مثل (عج ولا ستر) لما يوجد فيهما من التنافر لقرب ما بين الحرفين في كل كلمة، ومتى اعتبرت جميع الامثلة لم ترّ للبعد الشديد وجهاً في التنافر على ما ذكره)).<sup>(٤)</sup>

أما فيما يخصّ الادغام والابدال، فقد ردّ ابن سنان الخفاجي على الرماني موضحاً رأيه في هذه المسألة، قائلاً: ((فأما الادغام والابدال فشاهدان على أنّ التنافر في قرب الحروف دون بعدهما، لانها لا يكادان يردان في الكلام إلاّ فراراً من تقارب الحروف، وهذا الذي يجب عندي اعتياده،

(١) سر الفصاحة: ٨٨-٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ٨٩.

(٣) النكت في اعجاز القرآن: ٨٨.

(٤) سر الفصاحة: ٩١.

لان التتبع والتأمل قاضيان بصحته، وإذا ثبت ما ذكرناه فقد بان ان تكررّ الحروف والكلام يذهب بشطر من الفصاحة، وقد كان بعض العلماء بالشعر يعيب في قول أبي تمام:  
 كريمٌ أمدحهُ أمدحهُ والورى  
 معي ومتى مالمته لمته وحدي  
 تكررُّ حروف الحلق، على سلامة المعنى واختيار الالفاظ))<sup>(١)</sup>.

## حسن التلاؤم وأثره في سورة آل عمران:

يأتي حسن التلاؤم في القرآن الكريم من خلال خلوّ ألفاظه من الحروف ذات المخارج المتقاربة في النطق أو المتباعدة كلّ البعد مما يؤدي الى التنافر فيما بينها، فيؤدي ذلك الى الوحشية والغرابة فيه. ولكن يأتي حسن التلاؤم من كون الالفاظ ذات مخارج سهلة في النطق متفاوتة في البعد أو القرب - أي: ((إننا لا نعثر في القرآن على الفاظ وحشية غريبة التأليف ثقيلة على السمع، كالعشيق والعشنتق والشوقب والشوذب ونحوها (وكلها بمعنى الطويل). إن انسيابية النظم اللغوي القرآني مع التلاوة قد اقتضت خلوصه من مثل هذه المفردات، مع التسليم بقيمتها الاسلوبية في بعض الاستخدامات الادبية. فقيام اللغة القرآنية على التوازن بين مقتضيات التلاوة ومتطلبات التعبير الفني الجمال قد استدعت وصفاً خاصاً للمفردات والتراكيب، يُحافظ فيه على أسباب العذوبة والسلاسة والايناس))<sup>(٢)</sup>.

ومما ورد منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ))<sup>(٣)</sup>. لقد جاء بناء الفاظ هذه الآية من أصوات سهلة المخارج وغير متقاربة كلّ القرب ولا متباعدة كلّ البعد في آنٍ واحدٍ. فمنها النون وهي من الأصوات الانفية المجهورة المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وذات ترددٍ سمعي عالٍ، والميم هي من الاصوات الشفوية المجهورة المتوسطة بين الشدة والرخاوة وهي أيضاً ذات ترددٍ سمعي عالٍ. والياء هي صوت صائت مجهور يخرج من أقصى الفم ومؤخر اللسان مع الحنك واللين وهي ذات ترددٍ سمعي عالٍ يفوق النون والميم، وصوتا الصاد والزاي وهما من الاصوات الاسنانية اللثوية أو ما تسمى بالصغيرة ذات التردد السمعي الوسط، واللام الجانبية المجهورة، وكلّ هذه الصفات ساعدت على حدوث التلاؤم والانسجام بين الاصوات في تشكيل ألفاظ هذه الآية والآيات الاخرى في

(١) المصدر نفسه: ٩١.

(٢) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٦.

(٣) سورة آل عمران: ٣/٣.

السورة، مما زاد في تناغمها الصوتي الجمالي. وقد ساعد هذا الانسجام الصوتي على إظهار المعنى الدلالي لهذه الالفاظ بصورةٍ أوضح وأشدّ تأثيراً.

وقد بيّن الرماني (ت ٣٨٦ هـ) الفائدة من التلاؤم في حسن الكلام في السمع من خلال سهولة الفاظه وعذوبتها وتقبل معانيها، إذ يرى ان: ((الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريقة الدلالة. ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحرف، وقراءته في أقيح ما يكون من الحرف والخط، فذلك متفاوت في الصورة وإن كانت المعاني واحدة، ومخارج الحروف مختلفة، فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك)).<sup>(١)</sup>

ومثال ماورد من ذلك في سورة آل عمران قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)).<sup>(٢)</sup>

فقد بُنيت مخارج حروف الفاظ هذه الآيات على ثلاثة أنواع من المخارج وهي من أقصى الحلق، كما في الهمزة والالف والقاف والحاء والعين، وأصوات أدنى الفم وهي الياء والطاء المفخمة، وأما الاصوات الوسائط بين ذلك فهي (الصاد، والذال، والميم، والراء، والنون، والتاء، والكاف)، فهي من مخارج متفاوتة بين القرب والبعد، وقد أسهم هذا التفاوت في المخارج الى حصول التلاؤم بين الالفاظ مما أكسب هذه الآيات طابعاً جمالياً في تنعيمها الصوتي الموسيقي، حيث ساعد على إظهار المعنى الدلالي لها بصورةٍ واضحةٍ، وهو اصطفاء الله سبحانه وتعالى آل ابراهيم واسماعيل واسحاق واولادهما و آل عمران موسى وهارون على العالمين سلسلة بعضها من بعض. واطهار نذر امرأة عمران وهي مريم الى خدمة دين الله سبحانه وتعالى من خلال خدمتها في بيت المقدس.

ويوضح الرماني صفةً اخرى في حسن التلاؤم بين الحروف في الالفاظ وتعديلها من الناحية النطقية، حتى تكون في متناول الاسماع من الجودة والتأثير، إذ يصف ذلك قائلاً: ((والتلاؤم في التعديل من غير بعدٍ شديدٍ او قربٍ شديدٍ، وذلك يظهر بسهولته على اللسان، وحسنه في الاسماع وتقبله في الطباع، فإذا انضاف الى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الاعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام، كما تظهر له أعلى طبقات الشعر من أدناها إذا تفاوت ما بينها)).<sup>(٣)</sup>

(١) النكت في اعجاز القرآن: ٨٨.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣/٣ - ٣٤ - ٣٥.

(٣) النكت في اعجاز القرآن: ٨٩.

ومما ورد منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((فَلِمَا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ \* فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)).<sup>(١)</sup>

فقد ساعد على وجود التلاؤم في هذه الآيات، هو ائتلاف ألفاظها من أصوات أو حروف متلازمة في مخارجها من ناحية البعد أو القرب فيما بينها، ومنها أصوات أقصى الحلق كالمهمزة والالف والقاف والهاء. ومنها أصوات أدنى الفم كالياء والشين المتغشية والطاء المفخمة، ومخارج أخرى كالكاف والفاء والزاي والتاء والباء. ولذا ساعد هذا التباين النسبي في البعد أو القرب بين هذه المخارج على تكوين النسق التركيبي لألفاظ هذه الآيات بصورته الجمالية وإظهار تنغيمه الموسيقي، فأحدث هذا التناغم الجمالي سبباً في إظهار المعاني الدلالية للألفاظ المتسقة بصورة أوضح، وهي أن زكريا قد كفّل مريم في معيشتها وتربيتها، إضافة إلى ما وجد الله لها من رزقٍ واطعام تقتات منه بغير مقابل منها، وكذلك أسهم هذا التناغم الجمالي في تنظيم الألفاظ إلى إظهار معجزة الله سبحانه وتعالى في إعطاء الذرية على كبر السن، وهذا مما لا يقدر عليه أرباب الكهنة والرهبان في ذلك العصر.

وقد ذهب أبو بكر الباقلاني مذهب أبي الحسن الرماني في عدّ التلاؤم وحسنه في السمع والكلام وسهولة اللفظ صفة من صفات الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، وصفة من صفات الشعر والنثر كذلك، إذ وصف ذلك قائلاً: ((والتلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب، وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي، والتنافر كالخط القبيح، فإذا انضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع، وبصيراً بجودة الكلام، كما يظهر له أعلى طبقة الشعر، والمتنافر ذهب الخليل إلى أنه من بعد شديد أو قرب شديد، فإذا بعد فهو كالطفر، وإذا قرب جداً كان بمنزلة مشي المقيد، ويبيّن ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها)).<sup>(٢)</sup>

ومما ورد منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)).<sup>(٣)</sup> فقد جاء التلاؤم هنا في حروف الألفاظ هذه الآيات نتيجة لوجود أصوات أقصى الحلق وهي المهمزة والقاف والالف والعين، وكذلك وجود أصوات أدنى الفم وهي الياء والكاف والطاء والجيم الشجرية،

(١) سورة آل عمران: ٣٦-٣٧.

(٢) إعجاز القرآن: ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) سورة آل عمران: ٤٢-٤٣.

أضافة لوجود أصوات ذات مخارج متفاوتة في البعد والقرب وهي السين الصفيرية المهموسة ذات التردد السمعى المنخفض أو المتوسط، ووجود الميم والنون والراء التكرارية واللام الجانبية، وهي الاصوات المتوسطة، أو ذات التردد السمعى العالى، ومما يزيد بها وضوحاً في السمع مجاورتها لأصوات المد الطويلة ذات التردد السمعى العالى جداً، وكل هذه العوامل مجتمعة ساعدت على انسجام الفاظ هذه الآيات وإظهار دلالاتها بصورة واضحة. وهو ان الله سبحانه وتعالى اصطفى مريم وطهرها من الارجاس وأنجاس الجاهلية وأعطاه المنزلة الاولى على نساء العالمين في الكون كله من خلال إطاعتها الله والايان به والسجود له اعترافاً بربوبيته.

أما ابن سنان الخفاجي فقد اشترط في حسن تأليف اللفظة أو الفاظ العبارة، ان تكون حروفها ذات نسب متفاوتة في مخارج أصواتها من حيث البعد والقرب وعدم تكرار الحروف ذات المخارج المتقاربة أو المتباعدة فيها، إذ وضح ذلك قائلاً: ((أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج وهذا بعينه في التأليف، وبيانه ان يتجنب الناظم تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، كما أمرنا بتجنب ذلك في اللفظة الواحدة، بل هذا في التأليف أقبج، وذلك أن اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مثل ما يستمر في الكلام المؤلف إذا طال واتسع)).<sup>(١)</sup>

ومما جاء من ذلك في سورة آل عمران قوله تعالى: ((قُلْ أُوْتِبْتُكُم بِخَيْرٍ مِنْ دُلْكُمۡۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ \* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسُّحَرِ)).<sup>(٢)</sup>

فقد ساعد على وجود التلاؤم في هذه الآيات الكريمة، هو احتواؤها على أصوات أقصى الحلق وهي الهمزة والالف والقاف والعين، وكذلك وجود أصوات أدنى الفم وهي الياء والجيم والطاء والضاد منسجمة مع أصوات أقصى الحلق وذلك بسبب الفارق النسبي في البعد بين مخارجها، وأضافة الى ذلك وجود أصوات الانف والشفيتين وهي النون والميم والباء والواو منسجمة مع بعضها البعض في أغلب الالفاظ، وساعد أيضاً وجود بعض الأصوات ذات المخارج المتقاربة نسبياً (كالصاد والسين والهاء والغين) مندجمة مع أصوات المد الطويلة ذات التردد السمعى العالى مما أدى الى نقلها من الهمس الى الجهر في تصويتها. وهذه العوامل مجتمعة ساعدت على ظهور الانسجام الصوتي والجمال في التناغم اللفظي فأثر ذلك في إظهار المعاني الدلالية لألفاظ هذه الآيات بصورة واضحة ومؤثرة في السمع. وتظهر معاني هذه الالفاظ في

(١) سر الفصاحة: ٧٨.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٥ - ١٦ - ١٧.

كون الله سبحانه وتعالى هو الذي يَخَصُّ المتقين بالنعمة، لأنهم هم المنتفعون في الحياة الدنيا والآخرة، فيسكنهم في جناته ويطعمهم ويرزقهم من عنده. وهو الذي يُثيبُ ويعاقب يوم القيامة. وخصَّ الله سبحانه وتعالى هؤلاء بالصفات التي ذكرها في قوله أعلاه، لأنهم كانوا يقدمون في الليل ويقىمون الصلاة في آخره الى حين حلول صلاة الفجر. فتصعد هذه الاعمال الى الله تعالى فيعطي كل ذي عمل ثوابه ورزقه جزاء ما عمل من صالح الاعمال واستغفر الله لنفسه ولكافة المؤمنين في طاعة الله ورسوله.

ويتجه التلاؤم الصوتي في القرآن الكريم الى طلب الخفة في الانسجام بين الحروف المتلازمة في التأليف اللفظي حتى تكون سهلة اللفظ خفيفة السمع غير ثقيلة، ويكون ذلك في الالفاظ ذات الحروف المتفاوتة في المخارج أي في البعد أو القرب، وذلك لأن التلاؤم الصوتي يرتبط بمسألة طلب الخفة في النطق، ولكن قد يقصد القرآن الكريم الى الثقيل من صيغ الالفاظ في آياته، وذلك حين يكون موحياً الى معنى ما على النحو الذي لا يفقد فيه سمة الألفة والايناس في اللفظة. <sup>(١)</sup>

ومما جاء من ذلك في سورة آل عمران قوله تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) <sup>(٢)</sup>

لفظة (غَلِيظًا) هنا أثقل من لفظة (جامداً) لما فيها من شدة قاسية على أصحابه الذين كانوا معه، وخصوصاً انها سُبِّتْ بلفظة (فظًا) والتي تعني الجفاء والقطيعة، إذن تكون سبب تفرق هؤلاء الجماعة عن النبي (ص)، ولكن الله سبحانه وتعالى الحق قوله السابق بعبارة (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ). أي أعف عنهم لما بدر منهم نحوك واستغفر لهم فيما يخص حق الله إتماماً للشفقة عليهم، وشاورهم في أمور الحرب والجهاد.

ولكن نجد أن مثل هذا الثقل في الكلمات يعدُّ ثقلاً تعبيرياً، وليس ذلك الثقل الذي يُورث الشاعة في النطق، كما ان الالفاظ الثقيلة في بعض آيات القرآن لا تؤدي الى الغرابة والبعد عن المألوف فيه، وأنها لا تنبوء عن قبولها الاذهان ولا تمجُّها الاذان في السمع، وهذا ما أكده علي بن حمزة العلوي في طرازه. <sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩/٣.

(٣) ينظر: الطراز: ٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

## الفصل الثالث

### مستويات الايقاع في سورة آل عمران

#### مفهوم الايقاع:

يُتَّصَفُ الايقاع بأنه من أكثر المفاهيم اللغوية غموضاً، سواء أكان ذلك في الدراسات القديمة أم الحديثة، الى الحد الذي يجعلنا لا نستطيع أن نجد له تعريفاً محدداً وواضحاً، فهو مرتبطٌ بمفهوم الطبيعة والكون عند نشوء الحياة البشرية بصورةٍ أشمل. وقد يكون السبب في غموض مفهومه الى استعماله المتعددة في فنون الحياة المختلفة. ولهذا سعى الباحثون من قدماء ومحدثين في دراساتهم اللغوية القديمة والحديثة الى تحديد مفهوم لفظة (إيقاع)، وما تدلّ عليه من معاني أخرى استعملت في السياق العام للحياة اليومية، ولذلك فالإيقاع كلمةٌ مُشتقةٌ في اغلب الروايات من اللغة اليونانية التي تدلّ على معنى الجريان أو التدفق بالنسبة للماء، وكذلك الحركة والتتابع بين حالتي الصوت والصمت، أو الظلمة والنور، أو السكون والحركة، أو الضعف والقوة بالنسبة للحركات الإيمائية.<sup>(١)</sup>

والايقاع بمضمونه العام كلمةٌ تدلّ على الحركة المتتابعة المتواترة في الارتفاع والانخفاض بالنسبة للصوت ودرجة الصمت فيه، أو كما في هبوط النور عند مغيب الشمس وحلول الظلام مكانها، وأيضاً في تبديل الحركة بالسكون وكذلك قوة التحمل بالضعف.

وخيراً من حدّد مفهوم الايقاع وانتظامه الزمني، وعلاقته بالموسيقى، أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٣ هـ)، إذ يرى أن الايقاع ((فعلٌ يكيّل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة)).<sup>(٢)</sup> ومن كلام التوحيدي يبدو أنّه يعدّ الزمن من الشروط المهمة والسمات الرئيسية في بناء الايقاع، وكذلك قيامه على الوزن الذي يتحدّد بعنصر الزمن المنتظم، ويكون ذلك بواسطة المقاطع المتصلة فيما بينها، والتي أطلق عليها (الفواصل المتناسبة والمتشابهة). ووصفها أيضاً بالاعتدال دلالةً على الانتظام والتتابع، وتخلق هذه العوامل لديه إيقاعاً موسيقياً غايةً في الجودة والتأثير. أي أنّ التوحيدي قد ربط هنا بين الإيقاع والموسيقى بواسطة الزمن المنتظم.

وكُلِّما كان الإيقاع محدداً بهذا النظام الكوني ولا يتغير إلا بتغيره ولا يخرج عنا يتصل به من أنظمةٍ خاصةٍ تتحكّم فيه، فليس من الصعب على المرء في هذا المحيط أن يدركه ويحسّ به بوصفه

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب (مجدي وهبه، وكامل المهندس): ٧١.

(٢) المقابسات: ٣١.

واقعاً موجوداً في استعمالاته اليومية، أي: ((أن الإيقاع حولنا في كل مكانٍ يشهد عليه تعاقب الليل والنهار، وتكرار أوجه القمر، وتتابع فصول السنة، وهو في داخل أجسامنا حقيقة لا تُنكر تنظم بواسطتها شتى وظائفنا العضوية تنظيمًا دقيقاً ومُحكماً، وفقاً لفترات ودورات ثابتة، تؤكد لنا أن أعمق وظائف الحياة ذات طابع إيقاعي)).<sup>(١)</sup>

ولذلك يكون تأثير الإيقاع ملموساً فينا، ويكون بدون انقطاع عن وظائف الحياة. وقد ظلت فكرة التنظيم والتتابع تؤدي دوراً أساسياً في تعريف الإيقاع وبيان أنظمتها وأشكاله المختلفة ذات التتابع المنتظم، أي أن: ((للإيقاع أشكالاً مختلفة، منها الإيقاع الأوركستراي في حركات أعضاء الجسم البشري (حركات الرقص والعدو)، والإيقاع اللحني في توزيع النغمات الموسيقية، والإيقاع اللغوي في التدرج النبري لمجرى الكلام. أما التدرج النبري الذي يخلق الإيقاع اللغوي فهو من سمات اللغة) في إطار الإيقاع Dauer في ذاتها. ويدخل التوزيع اللحني (الميلودي) من خلال المدة الزمنية (اللغوي النبري)).<sup>(٢)</sup>

وكل هذه العوامل ساعدت على تلون أشكال الإيقاع وتعددتها وإن كثرة مفاهيم الإيقاع زادت غموضاً في استعمالاته المختلفة وقد دخل كذلك في الجانب الاستعاري العام لبعض الاستعمالات كما أشار إلى ذلك الدكتور توفيق الزيدي، إذ يقول: ((وقد يعود هذا إلى الاستعمالات المختلفة لهذا المفهوم، وأولها الاستعمال الاستعاري العام. فيعدّ بعضهم مثلاً تعاقب الليل والنهار إيقاعاً، بل يذهب إلى انتظام دقات القلب تتدرج ضمن هذا المفهوم، وقد نبههم إلى هذا ما وجدوه في هذه الظواهر من انسجام)).<sup>(٣)</sup> ويصف كذلك الاستعمال الثاني الذي دخل فيه الإيقاع، إذ يرى: ((أما الوجه الثاني الذي أدى إلى الغموض فهو ارتباط الإيقاع بالموسيقى إذ أنها تعتمد قرع السمع أساساً ولهذا السبب فإن بعضهم تصوّر أن الإيقاع في النص لا يكمن إلا في الاصوات دون المعاني)).<sup>(٤)</sup>

اذن فهذا الانسجام المنتظم بين الظواهر الكونية في الطبيعة يخلق إيقاعاً تخلد له النفس البشرية في تعاملها مع هذه الظواهر، فضلاً عما يضيفه الترابط الإيقاعي بالموسيقى من حسّ جمالي عند المتلقي وعذوبة، فهذا يؤدي إلى انسجام هذه النفس مع تلك الظواهر بصورة وثيقة متكاملة جعل لباحثين يدركون مدى الصلة التي تجمع بين الإيقاع الموسيقي، والنظام أو مجموعة الأنظمة

(١) مع الموسيقى ذكريات ودراسات (د. فؤاد زكريا): ٥٦.

(٢) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٨٠ - ٨١.

(٣) مفهوم الأدبية في التراث النقدي حتى نهاية القرن الرابع عشر: ١٣٧ - وينظر: عضوية الموسيقى في النص الشعري: ٥٠ - ٥١.

(٤) المرجع نفسه: ١٣٧.

التي تسيّر عليها حركة الجسم وحركة الطبيعة، لذا فهناك: ((إيقاع للطبيعة، وآخر للعمل، وإيقاع للإشارات الضوئية، وإيقاعات للموسيقى، وهناك بالمعنى المجازي إيقاعات للفنون التشكيلية، كما أنّ الإيقاع أيضاً ظاهرة لغوية عامة)).<sup>(١)</sup> ولا يكفي هنا عاملي الانتظام والانسجام في الظواهر الطبيعية والنفس البشرية الى تشكيل إيقاعات ذات طبيعة متوازية ومتتابعة، ولكن لابدّ هنا من إضفاء صفة التكرار والإعادة المنتظمة في تشكيل الإيقاع وترتيبه بالصورة التي تخدم النفس وترتاح إليها، ولذلك يؤدي التكرار الإيقاعي المنتظم الى نوع من التوقعات في النفس البشرية، وهذه التوقعات مجتمعة مرتبطة بعضها ببعض الآخر ارتباطاً وثيقاً، إذ يصفُ أ. أريشارز ذلك قائلاً: ((والنسيجُ الذي يتألف من التوقعات والاشباكات أو خيبة الظن أو المفاجآت التي يولدها سياق المقاطع هو الإيقاع، ولا يبلغ تأثير صوت الكلمات أقصى قوّته إلاّ من خلال الإيقاع، ومن الواضح أنّه لا يوجد مفاجأة أو خيبة ظن لم يُوجد التوقع، وربما كانت معظم ضروب الإيقاع تتألف من عدد من المفاجآت ومشاعر التسوية وخبية الظن لا يقلّ عن عدد الاشباكات البسيطة المباشرة)).<sup>(٢)</sup>

وهذا يفسر لنا طبيعة كون الإيقاع المسرف في بساطته شيئاً مملأً متجّه النفس، ويكون خالياً من صفة الانفعال والتأثير. ولابدّ في ذلك من أن تكون عناصر الإيقاع غايةً في الترابط والانسجام، ناهيك عن صفة التكرار فيه، التي يتصاعد فيها الطابع النغمي للإيقاع وبيان الحسّ الجمالي في تأثيره، وهذا ما عبّر عنه الدكتور توفيق الزيدي، إذ يقول: ((إنّ الإيقاع حسب ما تستخلصه، (...)) وهو طاقة تمّ فنون القول عامة. وهي ذات وظيفة مزدوجة أو لاهها وصل مكونات النص بعضها ببعض وثنائهما التأثير في المتلقي، وأما وسائلها فهي كلّ ما يوفرّ الانسجام والتلاؤم)).<sup>(٣)</sup> أي أنّ الإيقاع بهذا المعنى العام أصوات ذات طبيعة لظاهرة أو مجموعة ظواهر متكرّرة في المحيط اللغوي، ولذا: ((فالإيقاع يُقصد به وحدة النغمة التي تتكرّر على نحو ما في الكلام، (...)) أي توالي الحركات والسكتات على نحوٍ منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام)).<sup>(٤)</sup>

أما من حيث الوظيفة اللغوية للإيقاع، فقد ذكر النقاد وعلماء اللغة العرب القدماء، ما للإيقاع من وظيفة جمالية في فنون القول الأدبية كالشعر والنثر. ونجد لذلك أنّ له تأثيراً خاصاً في الشعر، وذلك لما فيه من انسجام وانتظام بين مقاطعه، ويأتي من أوزانه العروضية ذات التفعيلات المقسّمة حسب البحور الشعرية الموضوعه له، فضلاً عن مقاييس جودة اللفظ والمعن لديهم وما

(١) نظرية الادب (اوستن وارين، ورينيه ويليك): ٢١٢.

(٢) مبادئ النقد الادبي: ١٩٢.

(٣) مفهوم الادبية في التراث النقدي: ١٣٩.

(٤) عضوية الموسيقى في النص الشعري: ٥٠.

للنصّ المشكّل من تأثيرٍ في المتلقي من خلال إيقاعه المنتظم في التنغيم، فعبروا عنه بعبارات تتسمّ بحسن الذوق الفني والتقدي الذي يملكونه، فقد وصفوا فنّ القول الشعري (بالعدوبة) والحلاوة. كما وصفه بعضهم (بكثرة الطلاوة).<sup>(١)</sup> وأضافوا الى ذلك أنّ النصّ الشعري الجيد يُثير في المتلقي الايحية و (الطرب).<sup>(٢)</sup> ((والارتياح))<sup>(٣)</sup>، وكثرة ((الطلاوة والماء)).<sup>(٤)</sup>

إنّ هذا التأثير الذي يخلقه الشعر المنتظم بأوزانه العروضية وما يثيره من الاريحية والارتياح في المتلقي ويخلقُ لديه شيء أشبه باللذة المتكررة نتيجة التناغم الحاصل بين ألفاظه أو مقاطعه، وما يضيفه هذا التناغم من إيقاع متوازنٍ ومنتظم، لذلك فقد ذهب ابن طباطبا العلويّ (ت ٣٢٢ هـ) الى تحديد الشعر بالإيقاع لا العروض، قائلاً: ((والشعر الموزون إيقاع يطربُ الفهم لصوابه وما يردُّ عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه، فإذا اجتمع للفهم مع صحّة وزن الشعر صحّة المعنى وعدوبة اللفظ فصفا مسموعة ومعقولة من الكدر تمّ قبوله له، واشتماله عليه، وإنّ نقص جزء من أجزائه التي يعملُ بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى، وحسن الالفاظ، كان إنكار الفهم إيّاه على قدر نقصان أجزائه)).<sup>(٥)</sup>

ويعدّ هذا المعنى الاصطلاحي للإيقاع - تبلوراً هاماً لمفهوم الإيقاع على مستوى الاصطلاح والمنهج اللغوي، إذ أنّ ابن طباطبا العلوي يُعدّ أول ناقدٍ أدبي قديم يستعمل مصطلح الإيقاع لفهم جودة الشعر وطبيعته السحرية في ذهن المتلقي من خلال تكلمه عن الغناء المطرب، إذ يقول: ((ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه، المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب ألقانه. فأما المقتصر على طيب اللحن منه دون ما سواه تناقص الطرب)).<sup>(٦)</sup>

أما فيما يخصّ النثر فقد ذكر النقاد وعلماء اللغة العرب القدماء ما للإيقاع من وظيفة جمالية فيه، مساواة له مع الشعر في هذا المجال. وذلك من خلال عدّة صور منه كالسجع والجناس والمقابلة والتورية. ... وما أشبه ذلك منه، فكما ان الشعر يُثيرُ اللذة والارتياح لدى المتلقي فإنّ النثر في فنونه أيضاً يُثيرُ هذه اللذة والارتياح، وهذا ما جاء في رواية الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في وصف السجع وطابعه الإيقاعي، إذ يقول: ((وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لم تُؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي، وإقامة الوزن؟ قال: أنّ كلامي لو كنت لا أمل

(١) كتاب الصناعتين: ٥٧.

(٢) عيار الشعر: ٢١.

(٣) الوساطة بين المتني وخصومه (الجرجاني): ٢٧.

(٤) كتاب الصناعتين: ٥٧.

(٥) عيار الشعر: ٢١.

(٦) عيار الشعر: ٢١.

فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكيّ أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والاذان لسماعه أنشط، وهو أحقّ بالتقنيد وبقلّة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيّد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره<sup>(١)</sup>.

ولا تكمن هذه الحلاوة واللذة في المسجوع من كلام العرب فقط، وإنّما تكمن هذه اللذة والحلاوة والمرّوعة في الاسلوب الايقاعي للقرآن الكريم، وهو كلام الله سبحانه وتعالى، وهذا ما وجدّه الخطابي البستي (ت ٣٨٦ هـ) في دراسته لإعجاز القرآن ونظمه، إذ يقول: ((أنّ في إعجاز القرآن، وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذّ من آحادهم، وذلك ضيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمعُ خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منهث إليه. وتستبشر به النفوس وتشرح له الصدور، ..)).<sup>(٢)</sup>

نستنتج مما تقدّم أنّ الايقاع موجود في الشعر كما هو موجود في الشعر، والدليل في ذلك ما استدللّ به الجاحظ من وجوده في المسجوع من كلام العرب، وما أثبتّه الخطابي من وجوده في القرآن الكريم، حيثُ يخلق تأثيراً ذا وقع كبير في قلب المتلقي أو السامع، من لذة وحلاوة في حال سماعه، ولذلك يترك فيه جلال الروعة والمهابة، فتستبشر به نفسه وينشرح له صدره. ولذلك عولنا على دراسة مستويات الايقاع في القرآن الكريم، وفي سورة آل عمران بشكل خاص لمعرفة مدى تأثيره في بيان المعاني الوظيفية لمفرداتها من خلال الصوت الواحد أو اللفظة المفردة، وكذلك من خلال العبارة بصورة عامة.

## مستويات الايقاع:

الايقاع في التعبير اللغوي، هو تشكيل صوتي لأحداث كلامية تُنظّم على محور الزمن بشكل يتردّد فيه مقطع أو مجموعة مقادع تردّداً يوحى للسامع أنّ هناك نغمة متكرّرة في التعبير، ولا يختلف الأمر في القرآن الكريم.

أما بالنسبة للإيقاع في القرآن فهناك أيضاً ترديد منتظم على مستوى الآية أو السورة وللنصّ ككل. ويكون ذلك في المفردة أو العبارة في الاصوات. وللإيقاع في المفردة للقرآن الكريم أو عباراته، قيمةً أسلوبيةً كبيرةً، تتجلى في تلوين أو تنوع أسلوبه وتعديله والتصرّف به في تصوير

(١) البيان والتبين: ١/ ٢٨٧.

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٦٤ (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

المعنى الدلالي للألفاظ المتغيرة وانتقالها بين آية وأخرى، مما يؤدي الى تصعيد المعاشية لأحداثه وزيادة التأثير بها، وسرعة تقبله الى القلب واستفسار معانيه بصورة أكثر وضوحاً. ويلاحظ هذا المعنى في كل سورة من سوره. أو أي مقطع من مقاطعه القولية. لذلك يرى الدكتور صبحي الصالح: ((أن هذا القرآن في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة وفي كل مطلع منه وختام يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغماً حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب ان نفاضل فيه بين سورة واخرى، أو توازن بين مقطع ومقطع، لكننا حين نوميء الى تنفرد سورة منه ينسق خاص إننا نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة تؤيدها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، ألا أنه متنوع تنوع موسيقي الوجود في أنغامه وألحانه)).<sup>(١)</sup>

يبدو لنا من هذا الكلام أن للقرآن طابعاً اسلوبياً متعدداً من خلال أحداثه المتنوعة، ويساعد هذا التعدد الاسلوبي في طرح أحداثه الى تنوع الدلالات الوظيفية لألفاظه المفردة، أو معاني العبارة القرآنية بصورة أوسع. وذلك لما يمتلكه من نسج لغوي كبير في بلاغته وسحر بيانه ذو الطابع الموسيقي المتنوع في النغم الايقاعي.

وقد انفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز هذا عن سائر الكتب الاخرى، وذلك لما يمتلكه من نسيج لغوي غاية في الدقة والانتظام، وسحر بلاغي في بيانه، وطابعه الموسيقي ذي الايقاع المنتظم الذي لا يخلق على كثرة تردده طوال تكراره، إذ يقول الدكتور مصطفى صادق الرافعي في ذلك: ((ولكنه انفرد بهذا الوجه المعجز، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقيح معه حرف آخر، لكان ذلك خللاً بيئناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة في حسن السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإقضاء بعضها الى بعض، ولرايت لذلك هُجنت في السمع، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاءه على ترتيبها، ولم تتفقه على طبقاتها، وخرج بعضها طويلاً وبعضها عرضاً، وذهب ما بقي فيها الى جهات متناكرة)).<sup>(٢)</sup> أي أن الانسان هنا يقف خاشعاً وجلاً أمام هذا النظم الصوتي العجيب في ترتيب حروف القرآن وتناسق حركاتها، إذ يتداخل بعضها مع البعض الآخر في وحدة عضوية متكاملة. ولذلك فقد احتوى النسق التركيبي للقرآن الكريم هذه الناحية الجمالية فجاءت انساق بنائه الصوتي تحتوي على إيقاع منتظم مبني على التنوع واتخذ طابع المفاجأة من خلال توظيف العنصر الزمني فيه، وهذا ما جاء لدى أغلب علماء اللغة حينما تحدثوا عن إعجاز

(١) مباحث في علوم القرآن: ٣٣٤.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٧.

نظمه وسرّ موسيقاه، إذ يقول أحد المحدّثين فيه: ((وللقرآن سرٌّ إعجازي يكمن في نغمه في كل مقطع منه بحيث انك لو غيرت كلمة من موضعها لشعرت بما يشبه انكسار الوزن في الشعر، فالقرآن يمتاز بأسلوب إيقاعي يتفرّد فيه عن سائر الكتب))<sup>(١)</sup>. ولذلك نجد أنّ حذف أيّ كلمة أو مقطع فيه يقابل زيادة أو نقصان حرفٍ أو مقطع في البيت الشعري فيؤدّي الى اختلالٍ في تفعيلاته الوزنية أو العروضية، وهذا يُضفي على الإيقاع الموسيقي الرتابة والانتظام. أيّ أننا نجد أنّ للمستوى الإيقاعي في القرآن الكريم جانبين مهمّين من الدراسة الإيقاعية، وهما جانب دراسة إيقاع اللفظة المفردة وتأثيرها، والثاني دراسة إيقاع العبارة القرآنية وما يدخل في تركيبها بصورة متكاملة.

### المستوى الأول: إيقاع المفردة

ويتحقّق هذا الجانب في دراسة الإيقاع في القرآن الكريم من خلال اللفظ المفرد ووضعه في النسق التركيبي المتوازن مما يضمن له اعتدالاً مع بقية الالفاظ أو تناسباً معها بشكل أكثر انتظاماً، ودراسة الأثر الدلالي الذي يتركه هذا اللفظ وتلاؤمه مع الالفاظ المجاورة له في التركيب. لذا يرى الدكتور مصطفى صادق الرافعي، أنّ هذه الظاهرة تُعدّ من الظواهر المهمّة في بيان إعجاز النظام الموسيقي في القرآن الكريم لأصوات القرآن الكريم، إذ يقول في ذلك: ((وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن الكريم، وأنّه مما لا يتعلق به أحد. ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير، ..)).<sup>(٢)</sup>

ويضيف معللاً ما للصور في اللفظة ودلالاتها الإيقاعية من تأثير، قائلاً: ((فلما قرىء عليهم القرآن (أي المشركين)، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملته ألحاناً لغوية رائعة، كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفهم هذا المعنى، وأنّه أمرٌ لا قبل لهم به، وكان ذلك بين في عجزهم)).<sup>(٣)</sup> وذلك لأن الإيقاع في القرآن الكريم مأتاة من وضع هذه الحروف في اللفظة، وقد يتميز حرف واحد من هذه الحروف بوقعه الشديد نتيجة لجهره أو شدته فيعطي

(١) دور الصوت في إعجاز القرآن، (د. حازم الحلي): ١٤٣ (ضمن كتاب الاعجاز القرآني المتضمن بحوث المؤتمر الاول للاعجاز في بغداد).

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٤.

(٣) المرجع نفسه: ٢٤٣.

اللفظة مع أصواتها الاخرى طابعاً إيقاعياً غايةً في التأثير على المتلقي، ولذا فإن: ((الصوت ليس له معنى في ذاته، وانما له قيمة تعبيرية مرتبطة بخصائصه الاكوستيكية والفيزيائية)).<sup>(١)</sup> أي أنّ الصوت يمتلك تأثيره داخل اللفظة - كما في قول الدكتور الرافي السابق - من حيث كون صفاته الاساسية المتمثلة في الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق، وهذا ما يصفه علماء اللغة المحدثون (بالقيم التعبيرية للصوت) وما يضيفه من دلالات للمفردة في النص القرآني بأسلوبه المحكم. والى هذا ذهب الدكتور صبحي الصالح، إذ يرى: ((ان هذه الموسيقى الداخلية لتنبعث في القرآن الكريم حتى من اللفظة المفردة في كل آية من آياته، فتكاد تستقل - بجرسها ونغمها - بتصوير لوحة متكاملة فيها اللون زاهياً أو شاحباً، وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً)).<sup>(٢)</sup>

وبهذا المنظور الواسع لدور الكلمة المفردة من خلال انظام حروفها في أنساق التركيب القولي مع الالفاظ المجاورة لها، وذلك بحملها لنفس الصفات المكونة لحروف هذه الالفاظ، يمكن اعتبارها في أي نص أدبي غير القرآن، هي عبارة عن نظام للأصوات بصورة عامة، ثم الانتقاء من هذا النظام الصوتي لأي لغة من اللغات، وهذا الانتقاء الصوتي للأصوات يزيد من انتظام النسق اللفظي لألفاظ النص الأدبي بصورة أكمل.<sup>(٣)</sup>

وهذا ما ذهب اليه ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ)، وهو من القدماء في وصف انتظام الالفاظ من خلال سياقها الموضوعية فيه والنتائج عن تألف حروفها المكونة لها، إذ يقول: ((ان هذا من الامور المحسوسة، التي شاهدها من نفسها، لأن الالفاظ داخلية في حيز الاصوات، فالذي يستلذه السمع منها، ويميل اليه هو الحسن، والذي يبكره وينفر عنه هو القبيح، (...). والالفاظ جارية هذا المجرى، فإنه لا خلاف في أن لفظة (المزنة) و (الديمة) حسنة يستلذها السمع، ولأن لفظة (البُعاق) قبيحة يكرهها السمع)).<sup>(٤)</sup> وقول ابن الاثير هذا يجعلنا نرجح أن النسق التركيبي لألفاظ أي لغة يعتمد على عامل الانتقاء من خلال نظمها الصوتي، أي مكوناتها الصوتي، نجد أن بنية معانيها في ذاتها عن طريق التحليل اللغوي، من أجل كشف الدلالات الوظيفية التي يؤديها الصوت المفرد أو مجموعة الاصوات في اللفظة باعتباره قيمة تعبيرية للغة أو لنسقها التركيبي، وعنصراً إيحائياً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى العام من خلال هذا النسق.<sup>(٥)</sup>

(١) منهج التحليل اللغوي (د. سمير شريف ستيتيه)، مجلة آداب المستنصرية (مج ١٦ - ١٩٨٨): ٢٥٥.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٣٣٤.

(٣) ينظر: نظرية الادب: ٢٢٦.

(٤) المثل السائر: ١/ ١١٤ - ١١٥.

(٥) ينظر: نظرية الادب: ٢٢٦.

وقد حدث هذا في لغة القرآن الكريم لما فيها من تطريبٍ للاذن وخشوعٍ للنفس، لذا يرى الدكتور محمد سليمان العبد ذلك، إذ يقول: ((لقد حدث ذلك - وغيره - بفعل هذه اللغة القرآنية المعجزة التي تطرب لها الاذان، وتحشع لها النفوس، وتلين بها القلوب، لما جمعت من لطف الجمال وهيبة الجلال، ولعل من أخطر سمات تلك اللغة الفريدة وأبرزها وأقواها تأثيراً هذا الجمع العجيب بين استرسال النثر وإيقاعية الشعر في نظم صوتيٍّ هو من دلائل الاعجاز اللغوي للقرآن الكريم)).<sup>(١)</sup> ومادامت اللغة القرآنية المعجزة التي تطرب لها الاذان وتحشع لها النفوس، فهي بالتالي نابعة من اللغة العربية بصورة خاصة. ومن مكوناتها الصوتي وهو حروفها العربية، لذلك يمكن عدّ الصوت أو الحرف في اللغة العربية عنصراً إيحائياً في فهم المعنى إذ: ((ان للحروف في اللغة العربية إحاءً خاصاً، فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وإحاء ويثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحى به)).<sup>(٢)</sup> ويأتي هذا الطابع الإيحائي للصوت من خلال انسجامه وتلاؤمه مع الاصوات الاخرى المكوّنة للفظة وتكون بأجمعها ذات تناغم صوتي موسيقي يُعطي للفظة طابعاً جمالياً وإيحائياً معنوياً مع الالفاظ المجاورة لها. مما يحدث فيما بينها محاكاة صوتية ينم عنها إظهار المعنى الدلالي للعبارة في النص.

ولذلك نجد أن الإيقاع الصوتي للمفردة القرآنية، يأتي عن طريق انتظام أصواتها وانسجامها وتلاؤمها في تشكيل صوتي يخلق وحدة عضوية فيما بينها، وهذه الوحدة العضوية تؤدي دوراً مهماً في تكوين هذا الإحاء الصوتي، أو المحاكاة الصوتية، ولذا نجد: ((ان الكلمة تحمل الى جانب جرسها ووقعها على الاذان، وحركة اللسان بها إحاءاً بالمعنى وظلالاً وموسيقى، وما يُسميه علماء الصوتيات بالانوماتوبيا ويعنون به موافقة صوت الكلمة لما هو مقصود منها)).<sup>(٣)</sup> ويكون ذلك من خلال بروز أحد أصوات الكلمة، مما يعطيها جانباً إيحائياً وموسيقى دالة على معناها العام. لذلك يتضح لنا أن البناء الصوتي للكلمة لا يفي لرسم كيانها الصوتي الواضح ما لم تُوضَع في سياقٍ لفظي واسع، وهذا ما أشار إليه ابن الاثير، (ت ٦٣٧ هـ) إذ يقول: ((وأعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الالفاظ أكثر ما يقع في مفرداتها، لأن التركيب أعسر وأشق، إلا ترى ألفاظ القرآن الكريم - من حيث أفرادها - قد استعملتها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم، ويعلو عليه؟ وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب)).<sup>(٤)</sup> وقد عبّر عن ذلك بقوله

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٤.

(٢) فقه اللغة وحصائص العربية (د. مازن المبارك): ٢٦١

(٣) الفصاحة مفهوماً، وبم تتحقق (د. توفيق علي الفيل) - حوليات كلية الاداب / جامعة الكويت (الرسالة السابعة

والعشرون - الحولية السادسة)، ١٧: ١٩٨٥

(٤) المثل السائر: ١/ ٢١٣.

تعالى: ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ  
وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)).<sup>(١)</sup>

إذا قال في ذلك: ((أنك لم تجد ما وجدت هذه الالفاظ من المزيّة الظاهرة إلا لأمر يرجع الى تركيبها، وأنه لم يعرض لها هذا الحسن إلا من حيث لاقى الاولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وكذلك الى آخرها، فإن ارتبت في ذلك فتأمل، هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها، وأفردت من بين أخواتها كانت لابسة من الحسن ما لبسته في موضعها من الآية؟)).<sup>(٢)</sup>

ونجد من خلال ذلك أنّ التشكيل الصوتي لألفاظ اللغة القرآنية يتميز بصفة التلاؤم الصوتي بين أصواتها، وهذا يكون على نطاق اللفظة المفردة أو على نطاق العبارة في نظمه التركيبي للسياقة بصورة عامة. وحسبنا لانجد في قراءتها أي إنتقالٍ مفاجيء بين أصواتها من ناحية شدة التقارب فيما بينها، يؤدي الى التنافر بين أصواته يخلّ بجمال هذا الانسجام والتناسب والتلاؤم بين أصوات اللفظة الواحدة، أو أصوات الالفاظ المتجاورة معها. وقد ألمع الى هذه الظاهرة الرماني (ت ٣٨٨ هـ) في معرض حديثه عن التلاؤم بين الالفاظ في اللغة، وعدّ التلاؤم بأنه نقيض التنافر، ولذا فقد وصف القرآن الكريم بأنه من المتلائم في الطبقة العليا، وعزى هذا التلاؤم في لغة القرآن الكريم الى تعديل الحروف في التأليف، لذلك يرى أنّ: ((السبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشدّ تلاؤماً. وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد)).<sup>(٣)</sup>

والى هذا الرأي ذهب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) في وصفه التلاؤم في لغة القرآن الكريم، إذ يرى أنّ: ((التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ الصوتي، ووقع المعنى في القلب. وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي والتنافر كالخط القبيح، فإذا انضاف الى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات، ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع، وبصيراً بجودة الكلام، كما يظهر له أعلى طبقة الشعر. والمتنافر ذهب الخليل الى أنّه من بعد شديد أو قرب شديد، فإذا بعد فهو كالطفر، وإذا قرب جداً كان بمنزلة مشي المقيّد، ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها)).<sup>(٤)</sup> يتبين لنا من هذا الكلام أنّ التلاؤم عند الباقلاني يكون بتعديل الحروف في تأليفها، ويؤدي كذلك الى حسن اللفظ بها وسلاستها، فضلاً عما تضيفه هذه الالفاظ القرآنية من طابع مؤثر في

(١) سورة هود: ٤٤/١١.

(٢) المثل السائر: ١/٢١٤.

(٣) النكت في اعجاز القرآن: ٨٨. (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).

(٤) اعجاز القرآن: ٢٤٣ - ٢٤٤.

أذن المتلقي واستماعه لهذا الكلام المعجز. ولذلك: ((تتميز لغة القرآن الكريم بالتلاؤم بين الاصوات، سواء أكان ذلك على مستوى اللفظة المفردة أم على مستوى النظم اللغوي، فلا يُحدثُ في قراءته إنتقالاً مفاجئاً بين أصوات شديدة التقارب في المخرج، بحيث يؤدي الى تنافر يعوق تدفق التلاوة وجمال الانسجام الموسيقي بين الاصوات - ونجد ذلك على مستوى الصوامت أو الحيسيات كما نجدهُ على مستوى الحركات أو الطليقات، فالطليقات تتمتع بالتوافق والتجانس فيما بينها)).<sup>(١)</sup>

ويأتي هذا الانسجام الموسيقي بين الاصوات، في تلاوة القرآن وذلك لعدم تنافرها أو شدّة تقاربها في لغته ويرجع ذلك الى صفة التعديل والتلاؤم الصوتي، أي: ((ان ابتعاد لغة القرآن عن تنافر الحروف داخل المفردة الواحدة، وداخل العبارات المتسقة، قد أحدث نوعاً من الانسجام والتناغم الصوتي المستمدّ من التلاؤم بين الاصوات، إذ يشكل التلاؤم الصوتي بين أصوات المفردة ضرباً من التناغم يؤدي الى إيقاع المفردة توحى بدلالاتها من خلال الاصوات المكونة لها)).<sup>(٢)</sup>

ونجدُ كذلك أنّ التلاؤم الصوتي في المفردة القرآنية لا يهتم بمسألة تعديل الحروف في المفردة وعدم تنافرها فحسب، وانما يرتبط كذلك بعامل الدلالة داخل المفردة نفسها، او ما يطلق عليه المحدثون (بالقيمة التعبيرية للصوت داخل المفردة في النسق الصوتي)، لذا فكما كان للصوت في المفردة قيمة تعبيرية يحاكي بها الحدث كان التلاؤم الصوتي جلياً بين أصوات المفردة نفسها، وهذا ما يُسمى بالمحاكاة الصوتية وهي: ((وسيلة تعبيرية مهمة لا تكاد تخلو منها لغة. وقد تأتي على مستوى الكلمة المفردة، إذا اشتملت على صوت أو أكثر يُحاكي الحدث. وتُعرف باسم المحاكاة وربما امتدت المحاكاة الى جزء من السياق وتوزعت على (Primary onomatopoeia) الاولية عددٍ من مفرداته، بحيث تصوّر - في مجموعها - الحدث تصويراً عاماً، وتكون - إذ ذاك - كالموسيقى التصويرية المصاحبة لذلك الحدث. ويُعرف هذا النوع باسم المحاكاة الثانوية ، ويُعدّ هذا النوع - على مستوى الاداء الفني - أعمق أثراً دال (Secondary onomatopoeia) على جماليات الاستخدام اللغوي، لعدم مباشرته وانتشاره في وحدات السياق)).<sup>(٣)</sup>

لقد تنبه علماء اللغة القدماء الى ظاهرة المحاكاة الصوتية في اللغة العربية، وتخصّص منهم هنا ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) وخاصة في كتابه الخصائص، لذا فقد خصّها في مبحث تحت عنوان (باب في

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٥.

(٢) الايقاع انماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم: ١٠٨.

(٣) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٧.

امساس الالفاظ أشباه المعاني)، إذ قال في مطلعته: ((اعلم أن هذا موضعٌ شريفٌ نظيفٌ. وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته)).<sup>(١)</sup> حيثُ ضرب لنا ابن جني أمثلةً كثيرة ذات صلة بهذه الظاهرة، وفي الالفاظ المفردة بصفةٍ خاصة، وكذلك تكون الدلالة اللفظية للصوت أو الحرف في المفردة، وما يحملهُ هذا الصوت من إيجاءٍ يُميزُ بعض المفردات عن البعض الآخر في دلالتها الوظيفية، وهذا ما نجدُهُ في أغلب مفردات القرآن الكريم، إذ توجد فيه مفردات تُوحي بدلالات أعمق تأثيراً من المفردات الأخرى في سياقه التركيبي.

وقد اشتمل النسق القرآني على النوعين الأنفي الذكر من المحاكاة الصوتية، وبالذات النوع الاول - وهو المحاكاة الاولية - التي تختص باللفظة المفردة في التركيب، وهذا يُمكن المتلقي أو السامع من تصوّر الحدث الناتج عن هذه المحاكاة وتخصيصه والتأثر به سواء من خلال تركيزه على لفظية معينة وبروزها بشكل أكثر وضوحاً، ويكون العامل المسبب في ظهور هذه اللفظة في السياق التركيبي نتيجة لبروز صوتٍ واحدٍ ذي تأثيرٍ واضح على الاذن المستمعة، وقد احتوت سورة آل عمران على الامثلة الكثيرة من هذا النمط الايقاعي اللفظي، في ثنايا آياتها المائلة الى الطول، مما يساعد على ترديد بعض المفردات ذات الصفة المميزة لها، وعلى تكوين نمطٍ إيقاعيّ التنغيم نتيجة لكثرة المقاطع الصوتية في الآية الواحدة، فضلاً عن أن سورة آل عمران وفي آياتها المتئين قد صورت في تشكيلها الصوتي واللفظي جانبين من العمل في الاسلام، الجانب الاول علاقة الرسول (ص) والمسلمين مع المشركين واليهود في المدينة بشكل خاص، والثاني صورّ الاحداث التي جرت في معركة أحد، وما كان من تبعاتها على نفسية المسلمين وما أصابهم من القرع، كذلك يكون إيقاعها اللفظي يميل الى الشدة تارةً والرخاوة تارةً أخرى حسب النمط النسقي التركيبي للآيات المكوّنة لها.

ومن الامثلة التي وردت في سورة آل عمران على ذلك النمط، قوله تعالى: ((مِنْ قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)).<sup>(٢)</sup> نجدُ هنا ان صوت (الشين) في لفظة (شديد)، الدال على التفشي والانتشار والشدة، قد تلائم مع أصوات المفردة جميعاً، وخاصة مع صوت (الدال) الانفجاري المسبوق بصوت المدّ (الياء) الدال على المدّ الطويل، أو الانتشار، جعل لفظة (شديد) ذات طابع إيقاعيّ شديد وسريع، يُوحي بالمعنى الذي أكسبها قيمةً تعبيريةً عاليةً تتضمن معنى: ((التهديد الرعب للذين كفروا بآيات

(١) الخصائص: ٢/ ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: ٤/ ٣.

الله، وتلوّح لهم بعزة الله وقوته وشدّة عذابه وانتقامه. والذين كفروا بآيات الله هم الذين كذبوا بهذا الدين الواحد بإطلاقه، (...)، وهم أول من يتوجه إليهم التهديد الرعيب بعذاب الله الشديد وانتقامه الأكبر)).<sup>(١)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ)).<sup>(٢)</sup>

فقد تكرّر هنا صوت (السين) المشدّد المهموس الدال على الهدوء والسكينة في لفظة (أَحَسَّ)، مما أكسب هذه اللفظة إيقاعاً هادئاً، وجعل لها إيجاءً دلاليّاً واضحاً، وهو إحساس عيسى الكفر من بني إسرائيل – بعد ما أراهم كلّ تلك المعجزات التي لا تنهياً لبشر مثلهم، والتي تشهد بنفسها بأن الله وراءها، وأنّ قوته سبحانه وتعالى تؤيدها وتؤيد كذلك من جاءت على يده إليهم.<sup>(٣)</sup>

وما جاء من ذلك قوله تعالى: ((مَثَلٌ مَا يَنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).<sup>(٤)</sup>

فقد جاءت هنا لفظة (صِرٌّ) وهي لفظة ذات جرسٍ عنيفٍ، استمدّت قوته وشدّته من وجود صوت (الصاد) الصفيري الاحتكاكي المفخّم، وصوت (الراء) الاحتكاكي المكرّر، ذي التردد السمعي العالي، ونتيجةً لاجتماع هذين الصوتين قد أكسبت اللفظة إيقاعاً شديداً، يدلّ بطبيعته على العنف والقوة المدمّرة، فأوهت لنا بهذا المشهد المروع الذي ألقى ظلاله الشديدة على سمع المتلقي وهزّ كيانه، وذلك لما يحمله من معانٍ دلالية، وهي: ((اننا ننظر فإذا نحنُ أمام حقلٍ قد تهباً للأخصاب، فهو حرث، ثم إذا العاصفة تهبّ إنها عاصفة باردة ثلجية محرقة تحرق هذا الحرث بما فيها من صرٍّ. واللفظة ذاتها كأنّها مقدوفٌ يُلقى بعنف، فيصورّ معناه بجرسه النفاذ، وإذا الحرث كلّهُ مدمرٌ خراب، انها لحظة يتمّ فيها كلّ شيء، يتمّ فيها الدمار والهلاك. وإذا الحرث كلّهُ يباب، ذلك مثل ما يُنفق الذين كفروا في هذه الدنيا – ولو كان يُنفق فيها ظاهره الخير والشر – ومثل ما بأيديهم من نعم الاولاد والاموال كلّها الى هلاكٍ وفناءٍ دون متاع حقيقي ودون ما جزاء)).<sup>(٥)</sup>

(١) في ظلال القرآن (سيد قطب): ٣/٣٦٨.

(٢) سورة آل عمران: ٥٢/٣.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٤٠١/٣.

(٤) سورة آل عمران: ١١٧/٣.

(٥) في ظلال القرآن: ٤٠١/٤.

ومن قوله تعالى: ((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَئِنَّ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)).<sup>(١)</sup>

قد جاءت هنا لفظة (ضُرِبَتْ)، وهي ذات جرس عنيف استمد قوته وشدته من وجود صوت (الضاد) المفخم الشديد الذي يخرج من بين الاسنان، والراء التكراري الشديد الذي يخرج من تكرار ضربات اللسان على اللثة، وكذلك من وجود صوت (التاء) الانفجاري المهموس. وتلاقي هذه الاصوات مجتمعاً، قد اكسب هذه اللفظة إيقاعاً شديداً، يدل على العنف والقوة واليأس، فأوهت بهذا المشهد المروع الذي ألقى ظلاله على سمع المتلقي، فزلزل كيانه وأخشعه له، وذلك لأنه يُضفي بدلالات هي أن الله سبحانه وتعالى قد كتب لليهود، أنهم في كل أرض يُدّلون، ولا تعصمهم في ذلك إلا ذمة الله تعالى وذمة المسلمين حيث يدخلون في ذمتهم فُتَعصم بذلك دماؤهم وأموالهم إلا بحققها، ويأتيهم الامن والطمأنينة، ولم تعرف اليهود ذلك الامن والطمأنينة إلا حين دخلوا في ذمة الرسول والمسلمين من بعده.<sup>(٢)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)).<sup>(٣)</sup> فقد جاءت لفظة (تُخْشَرُونَ) الدال على الشدة والقوة والعنف، الذي استمد قوته وشدته من وجود صوت (الشين)، الدال على الانتشار والتفشي، وكذلك بوجود صوت (الراء) التكراري الشديد، وصوت (النون) المتوسط بين الشدة والرخاوة ذي التردد السمعي العالي، وباجتماع هذه الاصوات في اللفظة، فقد أكسبها طابعاً إيقاعياً يميل الى العنف والقوة، وجعلها تُوحي بالمعنى الذي أعطاها قيمةً تعبيريةً عالية، ووظيفةً دلاليةً وهي رجوع النصر للمسلمين بتأييد من الله وتدبيره، وفي هذا الشيء تخذيل للذين كفروا وتهديد لليهود بأن الله سيفعل بهم مثلما فعل بالأقوام اخرى كآل فرعون الذين أهلكهم الله وأعلى بني اسرائيل، كما أن فيه تشبيهاً للذين آمنوا وتهويناً من شأن أعدائهم حتى لا يرهبونهم. وهذا ما وعد الله به المسلمين هزيمة الذين كفروا ويكذبون وينحرفون عن منهج الله تعالى.<sup>(٤)</sup>

وكذلك من مظاهر إيقاع اللفظة القرآنية المفردة - فضلاً عن تلاؤم أصواتها في تركيبها، وقيمتها الإيحائية التعبيرية وجود عنصر التكرار لبعض الاصوات داخل المفردة نفسها، ويُضفي هذا التكرار الصوتي فائدةً لفظيةً، تُعطي دلالات تعبيرية للمفردة، وهذا ما نجده أيضاً في سورة

(١) سورة آل عمران: ٣/١٣٢.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/٤٤٩.

(٣) سورة آل عمران: ٣/١٢.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/٣٧٢.

آل عمران. ويتكرر بنسب كثيرة في آياتها وخاصة الآيات القائمة على التحذير والوعيد، وقسم من الآيات الدالة على الدعاء والاستغفار. فمن ذلك قوله تعالى: ((قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ بَقَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)).<sup>(١)</sup>

فقد تكرر صوت (السين) الصفيري المهموس الدال على الهدوء والسكينة في لفظة (يَمَسِّنِي)، إضافة الى تكرار صوت (الياء) المجهور ذي التردد السمعى العالى جداً، مما أكسب هذه اللفظة إيقاعاً هادئاً ومُنساباً، جعل لها إيجاءً دلاليّاً واسعاً أفاد الى أنّ الحقيقة البسيطة التي يغفل عنها البشر لطول ألفتهم للأسباب والمسببات الظاهرة ولعلمهم القليل، ومألوفهم المحدود، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وإذا قضى أمراً ما فإنه يقول له كن فيكون، وحين يرد هذا الامر او غيره الى الحقيقة الاولية له يذهب العجب عنه وتزول الحيرة وعند ذلك تطمئن القلوب الى ذلك الحدث.<sup>(٢)</sup>

ومنهُ قوله تعالى: ((إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ)).<sup>(٣)</sup> فقد جاءت لفظة (يَكْفِيكُمْ) دلالة على (الاكتفاء) المتكرر، نتيجة للتكرار الحاصل في صوتي (الكاف) و (الياء) في تشكيل اللفظة، فقد لعب صوت (الكاف) الانفجاري المهموس مع صوت (الياء) المجهور ذي التردد السمعى العالى جداً، دوراً في إعطاء هذه اللفظة قيمة تعبيرية إيجابية، إضافة لما أحدثاه فيها من إيقاع شديد ظهر واضحاً في هذه اللفظة المفردة نتيجة لانظام التكرار الصوتي في الكاف والياء مجتمعة مع بقية الاصوات الاخرى، وقد أعطى هذا التكرار الصوتي دلالة على: ((كلمات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر، للقلعة المسلمة التي خرجت معه، والتي رأت نفير المشركين، وهي خرجت لتلقى طائفة الغير الموقرة بالمتاجر، ولا لتلقى طائفة النفير الموقرة بالسلام، وقد أبلغهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما بلغه يومها ربه، ليثبت قلوبهم وأقدامهم، وهم بشرٌ يحتاجون الى العون في صورة قريبة من مشاعرهم وتصوراتهم ومألوفاتهم، وأبلغهم كذلك شرط هذا المدد أنّه الصبر والتقوى، والصبر على تلقي صدمة الهجوم، والتقوى التي تربط القلب بالله في النصر والهزيمة)).<sup>(٤)</sup>

ومما ورد منه قوله تعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)).<sup>(٥)</sup>

(١) سورة آل عمران: ٤٧/٣.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/٣٩٨.

(٣) سورة آل عمران: ٣/١٢٤.

(٤) في ظلال القرآن: ٤/٤٧٠.

(٥) سورة آل عمران: ٣/١٨٥.

إذ يُوحى الفعل الرباعي (زُحِرَحَ) بالثقل من خلال شدة الجرس الذي يجمله، وذلك من خلال تكرار صوتي (الزاي) الاحتكاكي المجهور الذي يخرج مما بين الثنايا وأطراف اللسان، وصوت (الحاء) الحلقي المهموس، اللذان أضيفا إيقاعاً صوتياً ثقيلًا على هذه اللفظة، فضلاً عن ذلك مما يوحى به صوت (الزاي) من امتدادٍ في النفس، ويُقابله صوت (الحاء) المهموس الاحتكاكي الذي يُوحي بالثقل وعدم الحركة. وكل ذلك قد وُلد إيقاعاً بطيئاً وثقيلًا نسبياً، ينم عن دلالة لفظية هي أن: ((لفظ (زُحِرَحَ) بذاته يصورُ معناه بجرسه، ويرسم هيئته، ويُلقِي ظِلَّهُ، وكأنها للنار جاذبية تشد إليها مَنْ يقرب منها، ويدخلُ في مجالها، فهو في حاجةٍ إلى مَنْ يَزِحِرُحُهُ قليلاً قليلاً ليخلصه من جاذبيتها المنهومة فمن أمن أن يَزِحِرُحُ من مجاله، ويُستنقذ من جاذبيتها، ويدخل الجنة، فقد فاز)).<sup>(١)</sup>

ومما جاء منه قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)).<sup>(٢)</sup> فقد أوحى هذه المفردة (يُحِبُّكُمْ) بحدوث الحب المتكرر من الله سبحانه وتعالى، نتيجة للتكرار الحاصل في صوت (الباء) الشفوي الانفجاري المجهور في بنية هذه اللفظة، وقد أدى تكرار صوت (الباء) إلى إضفاء قيمة تعبيرية لهذه اللفظة، فضلاً عن إظهارها إيقاعاً شديداً ينجح إلى الهدوء تدريجياً ظهر جلياً نتيجة انتظام التكرار الصوتي لهذا الصوت، مما يعطي دلالة واضحة في سياق الآية هي: ((إِنَّ حُبَّ اللَّهِ لَيْسَ دَعْوَى بِاللِّسَانِ، وَلَا هَيْمًا بِالْجَوْدَانِ، إِلَّا أَنْ يَصَاحِبَهُ الْإِتِّبَاعُ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَالسَّيْرُ عَلَى هِدَاةٍ، وَتَحْقِيقُ مَنْهَجِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَإِنَّ الْإِيْمَانَ لَيْسَ كَلِمَاتٍ تَقَالُ، وَلَا مَشَاعِرَ تَجِيْسُ، وَلَا شَعَائِرَ تَقَامُ، وَلَكِنَّهُ طَاعَةُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ، وَعَمَلٌ بِمَنْهَجِ اللَّهِ الَّذِي يَجْمَعُهُ الرَّسُولُ)).<sup>(٣)</sup>

ومنه قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)).<sup>(٤)</sup> فقد أوحى هذه اللفظة (بَيْنَنَا)، بحدوث تكرار الفصل بين أهل الكتاب واليهود، التي دلّت عليها لفظة (بَيْنَكُمْ) الثانية، وبين المسلمين، وقد جاء هذا الحدث بتكرار صوت (النون) المتوسط بين الشدة والرخاوة، وذات التردد السمعي العالي في بنية هذه اللفظة، فضلاً عما أظهرته من إيقاع سريع ينجح إلى الخفة والهدوء تدريجياً، ظهر جلياً نتيجة الانتظام التكراري لهذا الصوت، فيؤدي ذلك إلى إضفاء قيمة تعبيرية لهذه اللفظة، تنم عن دلالة تُفْضِي: ((إلى عبادة الله وحده،

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٥٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٣٢.

(٣) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٨٧.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ٦٤.

وعدم الاشراف به، وألاً يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. وإلاً فهي المفاصلة التي لا مصاحبة بعدها ولا مجادلة، وإنما لدعوة منصفة من غير شك. دعوة لا يُريد بها النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتفضل عليهم هو ومن معه من المسلمين. كلمة سواء يقفُ أمامها الجميع على مستوى واحد. لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتعبد بعضهم بعضاً. دعوة لا يأبأها إلا مُتَعَنَّت مفسد، لا يُريد أن يفيء إلى الحق القويم))<sup>(١)</sup>.

---

(١) في ظلال القرآن: ٤٠٦/٣.

## المستوى الثاني: إيقاع العبارة

بعد أن بيّنا ما للصوت المفرد من علاقة في تمييز اللفظة المفردة على ما سواها من الالفاظ سواء في الكلام الاعتيادي أو النص القرآني بصورة خاصة، وما يُضيفه هذا الصوت المتلائم من طابع إيقاعي على المفردة نفسها وعلى وضعها في النسق التركيبي للعبارة القرآنية. وقد لاحظنا كذلك من خلال الدراسة الاثر الدلالي الذي يتركه الصوت المفرد في هذه اللفظة وتلاؤمه مع الاصوات المجاورة له في التركيب النسقي للالفاظ الاخرى.

أما الجانب الآخر من مستويات الإيقاع، فهو جانب دراسة الإيقاع على مستوى العبارة القرآنية وليس الإيقاع الذي يحدث نتيجة حركة الاصوات داخل المفردة الواحدة بصورة منفردة فحسب، بل وداخل النسق للعبارة القرآنية بأكملها، والذي يشمل جميع الالفاظ المكوّنة له. لذا يؤدي هذا التتابع المتلائم في توزيع الاصوات بانتظام الى وضوح الدلالات للنص القرآني بصورة عامة، أي أنه: ((قد حدث ذلك وغيره بفعل هذه اللغة القرآنية المعجزة التي تطرب لها الاذان، وتحشع لها النفوس، وتلين لها القلوب، لما جمعت من لطف الجمال وهيبة الجلال، ولعل من أخطر سمات تلك اللغة الغريبة وأبرزها وأقواها تأثيراً هذا الجمع العجيب بين استرسال النثر وإيقاعية الشعر في نظم صوتي هو من دلائل الاعجاز اللغوي للقرآن الكريم)).<sup>(١)</sup>

وقد وضع ذلك سيد قطب في دراسته للإيقاع القرآني، من خلال عملية التناسق الفني فيه، إذ وصف درجات التناسق حسب رأي أغلب الباحثين في تتابع ألفاظ العبارة القرآنية أو نسقها وما يتركه هذا التناسق من إيقاع موسيقي غاية في الجمال، في ذهن المتلقي، ومن هذه الدرجات: ((ذلك الإيقاع الموسيقي الناشيء من تحيّر الالفاظ ونظمها في نسق خاص. ومع أن هذه الظاهرة واضحة جدّ الوضوح في القرآن الكريم، وعميقة كل العمق في بنائه الفني، فإنّ حديثهم لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرتق الى إدراك التعدّد في الاساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تُطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤدّيها في كل سياق)).<sup>(٢)</sup>

يبدو لنا واضحاً من كلامه هذا أنّ الإيقاع القرآني يأتي من تتابع الالفاظ القرآنية في نسق متتابع ومتلائم، مما يخلق هذا التلاؤم والتتابع اللفظي إيقاعاً يُضفي عن دلالات تُسهّم في كشف سرّ الاعجاز الصوتي للقرآن الكريم. وقد كان لوقع الإيقاع القرآني وأثره العامل المحفز في إسلام العرب إبّان الدعوة الاسلامية، أذ يصف الدكتور مصطفى صادق الرافعي هذا السرّ الإيقاعي العجيب في القرآن الكريم بقوله: ((فلما قرىء عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٤.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٦٨.

جملة ألقاناً لغويةً رائعةً، كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعةً واحدة، قرائتها هي توقيعها فلم يفهم هذا المعنى، وأنه أمرٌ لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم، حتى من عارضه منهم)).<sup>(١)</sup> ويصفُ الإيقاع الموسيقي الناشئ من اختلاف الالفاظ في السياق القرآني قائلاً: ((تختلف الالفاظ ولا تراها إلا متفقة، وتفرق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات وتنقل في منازل البلاغة، وانت لا تعرف منها إلا روحاً تُداخلك بالطرب، وتشرب قلبك الروعة، وتنزع من نفسك حسن الاختلاف الذي طالما تدبّرت به سائر الكلام)).<sup>(٢)</sup> أي أن عامل الاختلاف في الالفاظ المكونة للعبارة القرآنية ليس له تأثيرٌ مفرط على الإيقاع القرآني، ولكن بعكس ذلك يكسبه تنوعاً إيقاعياً منتظماً وحساً موسيقياً عالياً بسبب التلاؤم الصوتي فيه.

ويذهب بعض المحدثين الى أن هناك خاصية تُسهم في تلاؤم الالفاظ وتوزيعها، وهي خاصية الترجيع بين الالفاظ التي تؤدي دوراً كبيراً يُسهم في عملية تكوين الإيقاع على المستوى الصوتي للألفاظ، إذ تؤدي الاصوات ومن خلال توزيعها المتلائم في العبارة دوراً مهماً في عملية الترجيع اللفظي المؤدية الى اظهار الإيقاع في النص ذاته: ((وان كانت لهذا الترجيع قيمة إيقاعية، فإن هذه القيمة تنحسر إذا ما عزلنا الترجيع عن المعنى. إذ أن كل تكلف لهذا الترجيع يُفسد المعنى وبالتالي يُفسد الإيقاع)).<sup>(٣)</sup> وفيما يبدو واضحاً أن الترجيع عبارة عن الانسجام بين الالفاظ والمعاني أو مطابقة اللفظ لمعناه في النص. وهذا ما نجده في القرآن الكريم من انسجام ألفاظه ومعانيه في دلالاته السياقية الكامنة في ألفاظ آياته، مما يُضفي على إيقاعه رتبةً وانتظاماً وحساً جمالياً مؤثراً في المتلقي. ويكمن سرّ هذا التأثير كله في التلاؤم الصوتي بين أصوات القرآن الكريم، الذي تتميز ألفاظه سواء كان على مستوى اللفظة أو على مستوى العبارة القرآنية بالتلاؤم الصوتي، ويأتي هذا التلاؤم الصوتي داخل العبارة القرآنية من مستوى النظم اللغوي كما يراه الدكتور محمد سلمان العبد، إذ يقول: ((فلا تجد في قراءته إنتقالاً مفاجئاً بين أصوات شديدة التقارب في المخرج بحيث يؤدي الى تنافر يعوق التلاوة وجمال الانسجام الموسيقي بين الاصوات)).<sup>(٤)</sup>

ويتضح ذلك في النظم القرآني بشكلٍ جليٍّ، حيث أن: ((في الحرف بين الحرفين ملائمة واحتباكاً، وفي الكلمة بين الكلمتين تناسباً واطراداً، وفي الجملة بأزاء الجملة وصفاً وتعليقاً، ويمرّ

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٣.

(٢) المرجع نفسه: ٢٧٤.

(٣) مفهوم الادبية في التراث النقدي: ١٤٦.

(٤) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٥.

ذلك حتى يخرج من السورة)).<sup>(١)</sup> ولذلك يمكن دراسة المستوى الايقاعي للعبارة القرآنية من ثلاثة جوانب تُسهّم في اتساق الايقاع القرآني وهي:

## الجانب الاول: التلاؤم الصوتي وأثره في إيقاع العبارة القرآنية:

تتميز لغة القرآن الكريم بالتلاؤم بين الأصوات المكوّنة لها سواء أكان ذلك التلاؤم على مستوى اللفظة المفردة وأصواتها أم على مستوى النظم للعبارة القرآنية وأصواتها بصفة عامة، ولذلك: ((فلا نجد في قراءته إنتقالاً مفاجئاً بين أصوات شديدة التقارب في المخرج، بحيث يؤدي الى تنافر يعوق تدفق التلاوة وجمال الانسجام الموسيقي بين الاصوات، وتجد ذلك على مستوى الصوامت أو الحبيسات كما تجده على مستوى الحركات أو الطليقات، فالطليقات تتمتع بالتوافق والتجانس فيما بينها)).<sup>(٢)</sup>

يتضح لنا من هذا الكلام أنّ التلاؤم بين أصوات المفردة القرآنية يشكّل اساساً مهماً في البناء الصوتي للغة القرآن الكريم، وينطوي هذا التلاؤم الصوتي على العبارة القرآنية وأصواتها بصورة متكاملة. وتأتي هذه الامور مجتمعة من التعديل الصوتي بين الاصوات المكوّنة للفظ المفردة، وكذلك التعديل بين الاصوات المكوّنة لألفاظ العبارة القرآنية وعدم التنافر فيما بينها حتى لا يكون هناك اضطراب في النسق التركيبي لهذه الالفاظ المتلائمة. وتتصف هذه العلاقات الصوتية بين الاصوات المكوّنة لألفاظ النص القرآني، بتناسق صوتي جمالي مؤثر خلقه هذا التلاؤم الصوتي بين أصوات العبارة القرآنية وأثرها الطبيعي في كلّ نفس كما يقول الدكتور مصطفى صادق الرافعي فقد أنفرد القرآن: ((بهذا الوجه المعجز، فتألفت كلماته من حروفٍ لو سقط واحدٌ منها، أو أبدلٌ بغيره أو أقحم معه حرفٌ آخر، لكان ذلك خللاً بيّناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسن السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها الى بعض، ولرأيت لذلك هُجنةً من السمع، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاءه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها، وخروج بعضها طويلاً وبعضها عرضاً، وذلك ما بقي منها الى جهات متناكرة)).<sup>(٣)</sup> ويخلق هذا التناسق بين أصوات الالفاظ اعتدالاً في الوزن وجرس النغمة في العبارة القرآنية نتيجة التلاؤم بين الاصوات وعدم خروجها من مخارج متقاربة أو شديدة التباعد، لذا فإنّه: ((قد كان منطلق القوم يجري على أصل من تحقيق الحروف وتفخيمها،

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٢٤.

(٢) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٥.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٧.

ولكن أصوات الحرف انما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسله في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها مع ذلك من نوع في التركيب ووجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعضاً، ويتألف منها شيء مع شيء فتتدال خواصها، وتجتمع صفاتها، ويكون منها اللحن الموسيقي، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يُثيرُ بعضه بعضاً على نسبة معلومة ترجع الى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده)).<sup>(١)</sup>

أي أن هذا التألف بين أصوات الالفاظ وتلاؤمها يؤدي الى نوع من التناغم الايقاعي فيما بينها، كما يصفه ابن طباطبا العلوي في الشعر الموزون، إذ يقول: ((وللشعر الموزون إيقاعٌ يطربُ الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه، واعتدال أجزائه، فإذا اجتمع للفهم مع صحّة وزن الشعر صحّة المعنى وعضوبة اللفظ فصنعا مسموعه ومعقوله من الكدّر، ثم قبوله له، واشتماله عليه)).<sup>(٢)</sup>

نستنتج مما تقدم أن نسق العبارة القرآنية يخلو في تركيبه من عنصر التنافر بين الالفاظ، ومما يتألف منها من أصوات تكون ذوات مخارج متناسبة في القرب والبعد، لذا فقد جاءت ألفاظ القرآن الكريم منسجمة بعضها مع البعض داخل العبارة الواحدة، مما يخلق إيقاعاً منتظماً ذا طابع جمالي عذب يؤثر في ذهن السامع وفي نفسيته، مما يجعله أكثر تشوقاً إليه، ولذلك نجد: ((أن العبارة القرآنية قد وفّرت لنفسها تلاؤماً وانسجاماً كبيرين من خلال الربط المحكم بين المفردات، وهذا التلاؤم والانسجام قد وفّرها إيقاعاً مؤثراً حمل في جنباته التأثير الصوتي على المتلقي العربي وقت نزول القرآن والى ما شاء الله تعالى)).<sup>(٣)</sup> لذا نجد أن للتلاؤم الصوتي في العبارة القرآنية دوراً مهماً في تشكيل التابع الايقاعي للأصوات المتلائمة داخل العبارة، مما يولد إيقاعاً يستمدّ جماله من الكلمة الواحدة أو مجموعة الكلمات المكوّنة للعبارة القرآنية ولهذا: ((اننا لانعثر في القرآن الكريم على ألفاظ وحشية غريبة التأليف ثقيلة على السمع، كالعشنتق، والعشنتق والشوقب والشوذب ونحوها (وكلها بمعنى الطويل). إن انسيابية النظم اللغوي مع التلاوة قد اقتضت خلوصه من مثل هذه المفردات، مع التسليم بقيمتها الاسلوبية في بعض الاستخدامات الادبية. فقيام اللغة القرآنية على التوازن بين مقتضيات ومتطلبات التعبير الفني الجمالي قد استدعت وضعاً خاصاً للمفردات والتركيب، يُحافظ فيه على أسباب العضوبة والسلاسة والايناس)).<sup>(٤)</sup> أي أن التلاؤم

(١) المرجع نفسه: ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) عيار الشعر: ٢١.

(٣) الايقاع انماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم: ١١٧.

(٤) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٧٦.

الصوتي في لغة القرآن الكريم يرتبط بمسألة طلب الخفة وعدم الجنوح الى صيغ الكلام الثقيلة التي تخرج فيه عن سمة الالفه والايناس الصوتي.

وما دمتنا في بحث لغة القرآن الكريم وتلاؤم أصوات مفرداته، وألفاظ عباراته بصورة متناسقة وخالية من التنافر في حسن التأليف والتعديل، فلا بد لنا من التعرض لأراء علماء اللغة العرب وشروطهم في فصاحة اللفظة، وما لهذه الشروط من مزية في حسن تأليف العبارة، من حيث وصف العبارة بأنها تتألف من مجموعة ألفاظ متفقة في تلاؤمها الصوتي ونسقها مما يساعد في تكوين إيقاع منتظم ورتيب يسهم في بيان المعنى الدلالي بصورة أشمل. ونخص من هؤلاء ابن سنان الخفاجي الذي عول على بيان مما للكلمة من دور في حسن تأليف العبارة وتلاؤمها مع الكلمات الاخرى في سياقها اللفظي. بحيث يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج في التأليف. وأن يجتنب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، وكذلك أن تجد لللفظة مزية في حسن السمع والذوق الفني الرفيع على غيرها من الالفاظ، ويجب أن تكون اللفظة غير وحشية ولا عامية التداول لأنه يقبح التأليف إذا كثر فيه اللفظ الوحشي والعامي، لذا يجب أن تكون اللفظة جارية على العرف العربي الصحيح، لأن التأليف بهذه الشروط علاقة وثيقة ومتأصلة. أي يجب أن يكون للتأليف وحدة من التناسق والانسجام وأن توجد علاقة بين الالفاظ وخاصة عند إضافة الكلمة الى غيرها من الكلمات، وعليه يجب اجتناب الكلمة ذات الحروف الكثيرة في التأليف وخاصة الكلمات الطوال. (١)

ولذلك فإننا نجد أن هذه الشروط التي ذكرها ابن سنان الخفاجي في معرض كلامه عن التأليف وعدم التنافر، قد عرفت بها لغة القرآن الكريم وتأليف ألفاظه بصورة بعيدة عن التنافر من خلال انتظام نسقه التركيبي، ولهذا السبب عدّ الرماني القرآن الكريم من المتلائم في الطبقة العليا كله، وذلك: ((بين لمن تأمله - والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساساً بذلك وفطنة من بعض... الخ)). (٢)

ويمكن تطبيق هذه الشروط التي ذكرها ابن سنان الخفاجي على ما جاء في سورة آل عمران من أمثلة على ذلك في مفرداتها وألفاظ عباراتها دلالة على تلاؤمها الصوتي، وحسن هذا التأليف والتلاؤم بين أصوات كلماتها، ومما له من قدرة على خلق إيقاعها المنتظم، وقد ورد من ذلك قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا

(١) ينظر: سر الفصاحة: ٨٧، ٩٧، ٩٩، ١٠٠.

(٢) النكت في اعجاز القرآن: ٨٨.

بِاطْلًا سُبْحَانَكَ فَمَنَا عَذَابَ النَّارِ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ صَوْمًا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا \* رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ))<sup>(١)</sup>

فنلاحظ هنا أن القرآن الكريم في تأليفه، قد تجنّب تكرار الاصوات ذات المخارج المتقاربة، إذ لا نجد أيّ تنافر يذكر بين أصوات ألفاظه، ولذلك فلا تنافر يحصل بين أصوات عباراته يحسّه القارئ، فهي عبارات تنساب ألفاظها انسياباً عفويّاً غايةً في الجمال والعذوبة ناتج عن الانسجام والتلاؤم الصوتي فيما بينها، الذي يعطي دلالات وظيفية ذات قيم تعبيرية صوتية، ويخلق إيقاعاً منتظماً ذا طابع متناغم كما تجده في هذه الآيات ينم عن أن: ((مشهد السموات والارض، ومشهد اختلاف الليل والنهار. لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وإدراكنا، ولو تلقيناه كمشهد جديد تفتح عليه العيون أول مرة. ولو استقذنا حسناً من همود إالف، وخمود التكرار، لارتعشت له رؤانا. ولإهترت له مشاعرنا، ولأحسنا أن وراء ما فيه من تناسق لا بد من يد تنسق، ووراء ما فيه من نظام لا بد من عقل مدبر، ووراء ما فيه من أحكام لا بد من ناموس لا يختلف. وإن هذا كله لا يمكن أن يكون خدعاً، ولا يمكن أن يكون جزافاً، يمكن أن يكون باطلاً)).<sup>(٢)</sup>

ومما جاء منه قوله تعالى: ((لَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُبْسَسَ الْجَهَادُ)).<sup>(٣)</sup>

نجد من قوله تعالى هنا أن لعبارات القرآن الكريم حسناً وتأثيراً ووقفاً في النفس البشرية المتلقية، سواء أكان سامعاً أو قارئاً، ويستمد هذا التأثير من هذه العبارات، وذلك من انتظام وتتابع كلماتها والتوزيع المنتظم لأصوات مفرداتها داخل السياق اللفظي لهذه العبارات، مما يخلق دلالات وظيفية تعبيرية، هي نتيجة للتلاؤم الصوتي بين مفرداتها. لذا تؤدي الى إيقاع منتظم ورتيب الى الشدة والعنف كما في الآيتين السابقتين ينم عن أن: ((تقلّب الذين كفروا في البلاد مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحيك في القلوب منه شيء لا محالة يحيك منه شيء في قلوب المؤمنين، وهم يعانون الشظف والحرمان، ويعانون الاذى والجهد، ويعانون المطاردة والجهاد وكلها مشقات وأهوال بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون، ويحيك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة، وهي ترى الحق وأهله يعانون هذا العناء، والباطل وأهله في منجاة، بل في مسلاة، ويحيك فيه شيء في قلوب الضالين المبطلين انفسهم، فيزيدهم ضلالاً وبطراً ولجاجاً في الشر والفساد)).<sup>(٤)</sup>

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٩١، ١٩٢، ١٩٣.

(٢) في ظلال القرآن: ٤/ ٥٤٥.

(٣) سورة آل عمران: ٣/ ١٩٦ - ١٩٧.

(٤) في ظلال القرآن: ٤/ ٥٤٩.

ومنهُ قوله تعالى: ((إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* فَلَمَّا وَضَعَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)).<sup>(١)</sup>

أي أننا لا نجد في هذه الآيات القرآنية وفي عباراتها أي كلام وحشي أو غريب يخرج بلفظة أو معناه عن الفصاحة أو الذوق العربي السليم في انتقاء المفردات، بل ذوق غاية في الجمال والعدوية، تمثله صورة النذر الذي قدمته امرأة عمران قربة لوجه الله تعالى وهو ابنتها مريم. لذلك فقد افصحت هذه الآيات عن طابع إيقاعي غاية في التأثير من خلال مناجاة امرأة عمران مع الله سبحانه وتعالى ومدى الخشوع فيه إجلالاً له وتعظيماً لشأنه وهي: ((مناجاة من يشعر أنه منفردٌ بسريه، يحدثه بها في نفسه، وبما بين يديه، ويقدم له ما يملك تقديماً مباشراً لطيفاً - وهي الحالة التي يكون فيها هؤلاء العباد المختارون مع ربهم. حال الودِّ والقرب والمباشرة، والمناجاة البسيطة العبارة، التي لا تكلف فيها ولا تعقيد. مناجاة من يحسُّ أنه يُحَدِّثُ قريباً ودوراً سميعاً مجيباً)).<sup>(٢)</sup>

ومما ورد منه قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ \* رَبَّنَا لَا نُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)).<sup>(٣)</sup>

نلاحظ هنا أن تأليف العبارة القرآنية في هذه الآيات، قد اتسم في وحدة عضوية متناسقة ومنسجمة، اتسمت بالربط الوثيق بين أجزاء هذه العبارات وبين مفرداتها بعضها ببعض في وحدة من التأليف المتلائم. مما ينتج عنه عدة دلالاتٍ وظيفية ذات قيم تعبيرية غاية في السلاسة والعدوية، ويولد هذا التلاؤم إيقاعاً شديداً نسياً ينجح إلى الهدوء والسكينة تدريجياً كما في الآية الثانية وينتج عنه معنى هو أن الله بعدئذ: ((يكشف الذين في قلوبهم زيغ، الذين يتركون الحقائق القاطعة في آيات القرآن المحكمة، ويتبعون النصوص التي تحمل التأويل، ليصوغوا حولها الشبهات، ويصور سمات المؤمنين حقاً وإيمانهم الخالص وتسليمهم الله في كل ما يأتيهم من عنده بلا جدال)).<sup>(٤)</sup>

(١) سورة آل عمران: ٣٥ - ٣٦.

(٢) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٣) سورة آل عمران: ٧ - ٨.

(٤) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٦٩.

نستنتج مما تقدّم أنّ للتلاؤم الصوتي في أصوات المفردة أو العبارة القرآنية أثراً كبيراً في تكوين إيقاعها المنتظم المتتابع، من خلال التأليف والتعديل والربط المحكم بين أجزاء مفرداتها بعيداً عن التنافر وعدم الانسجام. وذلك للتأثير في نفس المتلقي قارئاً كان أو مستمعاً.

## الجانب الثاني: الأثر الإيقاعي لتكرار أصوات العبارة القرآنية:

يعدّ التكرار الصوتي عنصراً من العناصر المهمة في تكوّن بنية الإيقاع في النص القرآني، لما له من قدرة على إظهار الدلالات اللفظية، فضلاً عن التنعيم والدلالات الإيقاعية فيه، والتي تُكسبه جرساً ونغماً يؤديان إلى تقوية وإيضاح المعنى الذي تكنه المفردة أو العبارة في سياق الآية القرآنية بشكل أكثر دقّة وتأثير على المتلقي أو السامع، لذلك يكون التكرار في المفردة من خلال تكرار صوتٍ واحدٍ أو مجموعة أصواتٍ في تشكيلها الصوتي، بحيث يوفر لها نمطاً إيقاعياً صوتياً متميزاً. وهذا ما نجده أيضاً في العبارة القرآنية بصورة أوضح، وذلك لتكرار أصواتها داخل سياقها اللفظي في الآية الواحدة أو السورة في القرآن الكريم.

أي أنّ التكرار في أصوات العبارة القرآنية، يُعدّ سمة بنائها الصوتي المحكم، الذي يُكسبها إيقاعاً منتظماً ورتيباً مأخوذاً من تكرار وتوزيع الاصوات على ألفاظ العبارة داخل نسقها التركيبي في سياق النص القرآني. ولذلك يمكن ملاحظة ظاهرة التكرار في أصوات العبارة القرآنية من خلال آيات سورة آل عمران التي هي محور دراستنا، والتي تعدّ من السور المدنية الطوال، وذلك لطول آياتها وهذا يُساعد على إبراز هذه الظاهرة بصورة جلية، وتعدّد المفردات في نسق آياتها، لذا يمكن أن يتكرر صوتٌ واحدٌ أو عدة أصوات في هذه المفردات فيكسبها نمطاً إيقاعياً منتظماً ورتيباً ويجنح في بعض الأحيان إلى الشدة والقساوة خصوصاً في مشاهد التحذير والوعيد، وإلى الهدوء والسكينة وخاصة في مشاهد النعيم والدعاء والاستغفار، وهذا يؤدي إلى إظهار الدلالات أو الوظيفة التي تنم عنها هذه المشاهد المتعددة في النمط السياقي لها، ومن الأمثلة التي وردت في سورة آل عمران على ذلك النمط الإيقاعي في عباراتها، قوله تعالى: ((زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)).<sup>(١)</sup>

نجد أنّ هذه العبارة القرآنية بتركيب مفرداتها ونظم سياقها وخصوصاً من خلال تكرار صوت (النون) المجهور، المتوسط بين الشدة والرخاوة في مفرداتها، ولما يمتلكه من تردد سمعي

(١) سورة آل عمران: ١٤/٣.

عالٍ، فضلاً عن تكرار صوت (الميم) المجهور، الذي يجمع الصفات نفسها لصوت النون، ولذلك فإنّ هذا التكرار الصوتي (النون) و (الميم) واجتمعا مع بقية الاصوات المكوّنة لسياق مفرداتها هذه العبارات، قد أكسبها إيقاعاً قوياً يجنح الى الهدوء والاعتدال كلّما تقدّمنا الى أمام في اتساقها، لذا توحى لنا بحدّث آلهي ملموسٍ من إيقاعها الصوتي المنعّم من تكرار صوتي (النون والميم) وتناسق توزيعها على مفردات هذه العبارات. ينم لنا هذا المشهد الإيقاعي في هذه العبارات عن معنى هو أنّ الله سبحانه وتعالى قد زين للناس حبّ الشهوات: ((فهي شهوات مستلذة، وليست مستقدرة ولا كريهة. والتعبير لا يدعو الى استقذارها وكرهيتها، وإنما يدعو فقط الى معرفة طبيعتها وبواعثها، ووضعها في مكانها لا تتعداه ولا تطغى على ما هو أكرم في الحياة وأعلى، والتطلع الى آفاق أخرى بعد أخذ الضروري من تلك الشهوات في غير استذاق ولا اغراق)).<sup>(١)</sup>

ومما جاء منه قوله تعالى: ((وَمَكَرُوا وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)).<sup>(٢)</sup> نجد أنّ هذه الآية بتركيب مفرداتها ونظم سياقها الذي يجنح الى الاعتدال والتوازن من خلال تكرار صوت (الكاف) الحنكي الشديد المهموس، الذي يدلّ على الاحداث والاصوات الشديدة، وتناسقه مع تكرار صوت (الميم) المتوسط بين الشدّة والرخاوة، ذي التردّد السمعي العالي فضلاً عن تناسقه مع تكرار صوت (الراء) التكراري الذي يحمل صفات صوت (الميم) نفسها من حيث التوسط والتردد السمعي العالي والذي يوحي بالشدّة والقوة المتكررة، وهذا مما ولّد إيقاعاً قوياً شديداً يحمل طابع الدهاء والمكر اللذين يكتنهما اليهود لعيسى - عليه السلام - وينم عن معانٍ أخرى هي أنّ: ((المشكلة هنا في اللفظ هي وحدها التي تجمع بين تدبيرهم وتدبير الله، والمكر التدبير، ليسخر من مكرهم وكيدهم إذا كان الذي يواجهه هو تدبير الله فأين هم من الله؟ وأين مكرهم من تدبير الله؟ لقد أرادوا صلب عيسى - عليه السلام - وقتله، وأراد الله أن يتوفاه، وأن يرفعه إليه، وأن يطره من مخالطة الذين كفروا والبقاء بينهم وهم رجسٌ وذنس، وأن يكرمه فيجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة، وكان ما أرادّه الله. وأبطل الله مكر الماكرين)).<sup>(٣)</sup> ومنه قوله تعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)).<sup>(٤)</sup>

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ٣٧٤.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٥٤.

(٣) في ظلال القرآن: ٣/ ٤٠٣.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ٦١.

نجدُ هنا أنّ صوت (النون) المجهور، المتوسط بين الشدة والرخاوة، وذا التردد السمعي العالي، تكررّ في سياق عبارات هذه الآية بنسبة (١٧) مرة، فضلاً عن تكرار صوت (الميم) المجهور، الذي يحمل الصفات نفسها لصوت (النون) بنسبة (٧) مرات وتكرار صوت (السين) الصفيري المهموس وصوت (الكاف) الحنكي الشديد المهموس وبإجتماع هذه الاصوات معاً في نسق هذه العبارات، قد أكسبها إيقاعاً شديداً وقوياً يحمل طابع التهديد والوعيد لهؤلاء القوم، وذلك لما تمتلكه هذه الاصوات من تأثيرٍ ووقع على النفس. وقد صوّر هذا التكرار لهذه الاصوات دلالاتٍ وظيفيةً وهي دعوة الرسول (ص) من كانوا يناظرونه من أهل الكتاب للتصديق به الى المباهلة، ليهتله الجميع الى الله أن يُنزل لعنته على الكاذب من الفريقين. لذا فقد فاقوا من العاقبة وأبو المباهلة. وتبيّن الحق واضحاً للنبي محمد (ص) ومن معه من المسلمين. <sup>(١)</sup> وما جاء منه قوله تعالى: ((إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). <sup>(٢)</sup>

نلاحظ في هذه العبارة تكرار صوت (السين) وهو صوت صفيريّ لثويّ رضو مهموس، وذو دلالة عامة على السكينة والهدوء والضعف كما في الفعل (تَمَسَّسْكُمْ)، وكذلك تكرار صوت (الصاد) الصفيري المهموس المفخّم، قد أكسب هذه العبارة إيقاعاً قوياً يميل الى الهدوء والسكينة نتيجة تكرار هذه الاصوات. مما يؤدي الى دلالات وظيفية وهي الحذر من دسائس أهل الكتاب أو اليهود بالمسلمين والصبر والعزم والصمود أمام قوتهم، وأمام مكرهم وكيدهم إذا أرادوا طريق الوقعة والخذاع. أي الصبر والتماسك لا الانهيار والتخاذل، ولا التنازل عن العقيدة كلها أو بعض منها اتقاء الشرهم المتوقع أو كسباً لو دّهم غير الصادق، وكذلك الخوف من الله وحده من دونهم واتقاءه. <sup>(٣)</sup> هذا وقد ورد في سورة آل عمران بأنماطٍ متعددة في أصوات عباراتها، لكننا استقصينا ما هو مهم منها لتوضيح تلك الظاهرة في نسق البناء الصوتي للمفردات فيها.

### الجانب الثالث: إيقاع الفاصلة القرآنية:

تعدّ الفواصل الصوتية من الركائز المهمة في بناء الإيقاع القرآني، وذلك من خلال انتظام نسقه التركيبي اللفظي، وما يُضيفه هذا الاتساق اللفظي من وظائف ودلالات تُسهّم في بيان المعنى العام للآية أو السورة بصفة عامة. لذا تؤدي الفاصلة الصوتية في نهاية الآية دوراً مهماً في تشكيل

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ٤٥٥

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٢٠

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/ ٤٥٣.

الايقاع الصوتي لها من خلال تناسق صوتها الذي تنتهي فيه وانسجامه وتلاؤمه مع الاصوات الاخرى الداخلة في تكوين مفرداتها، ومع الصورة التعبيرية المتنوعة التي تحملها الآية أو السورة القرآنية ككل، مما يؤدي هذا التنوع في الصيغ التعبيرية أو المشاهد التعبيرية الى تنوع الفواصل في السورة تبعاً لذلك، التنوع في الفواصل يؤدي الى تنوع الايقاع الصوتي، ولهذا فإن: ((موسيقى الفواصل القرآنية أشبه بموسيقى القوافي في الشعر. وبناء القرآن الكريم على الفواصل القرآنية لقيمته الموسيقية في الكلام، إذ تتوقع الاذن - مع توالي الآيات وتكرير صوت أو عدة أصوات متشابهة)).<sup>(١)</sup>

وقد لاحظ علماء اللغة القدماء كالفارسي من اثر في تحسين الكلام فقد أشار الرماني الى ذلك في باب الفواصل، وخصوصاً في مسألة التفريق بين الفواصل والسجع، إذ يرى أن: ((الفواصل حروف متشاكله في المقاطع تُوجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة، والاسجاع عيب، وذلك ان الفواصل تابعة للمعاني، وأما الاسجاع فالمعاني تابعة لها، ..)).<sup>(٢)</sup> وتقع هذه الحروف المتشاكله دائماً في نهايات مقاطع آيات السورة القرآنية، وتؤدي هذه الحروف أو الفواصل دوراً مهماً في بيان الدلالات اللفظية للآيات أو السورة بأكملها، وهذا ما ذهب إليه الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) إذ يقول في ذلك: ((وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يُبين بها القرآن سائر الكلام)).<sup>(٣)</sup> ويضيف موضحاً هذا الجانب المهم في دور الفواصل الايقاعي، من خلال اعدال نسق الكلام قائلاً: ((واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً)).<sup>(٤)</sup>

أي أن التنغم الايقاعي يأتي من المناسبة في مقاطع الفواصل وتناسقها من خلال التنوع الحاصل بين أصوات الفواصل أو الاصوات التي تكوّن مفردات الآية أو مقاطعها. وهذا التناسق في الفواصل يؤثر في اعتدال نسق الكلام وإظهار دلالاته مما يؤثر تأثيراً عميقاً في النفس البشرية، لذلك تحدث الاستجابة السريعة لهذا الحدث أو المشهد المسموع. ولعل من أوائل المحدثين الذين أشاروا الى دور الفواصل القرآنية في بيان إعجاز القرآن الكريم، هو الدكتور مصطفى صادق الرافعي، وإن جاءت إشارته بلغة القدماء وأحكامهم الانطباعية والذوقية المعروفة، إذ يقول: ((ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن الكريم إلا صوراً تامة للأبعاد

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٨٥.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٨٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ١/٦٠.

التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يُساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب. وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطيعان في الموسيقى نفسها. أو بالمدّ، وهو كذلك طبعي في القرار، فإن لم تنته بواحدة من هذه. كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعاً لصوت الجملة وتقطيع كلماتها، ومناسبتة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بوضعه)).<sup>(١)</sup> ويُضيف معللاً هذه الظاهرة المهمة في دور الفواصل الصوتية وعلاقتها بموسيقى القرآن، بقوله: ((وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، وأثرها طبعي في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يُخاطب به كل نفس تفهمه وكل نفس لا تفهمه، ثم لا تجد النفوس على أي حال إلا الأقرار والاستجابة...)).<sup>(٢)</sup>

أما الدكتور صبحي الصالح، فيصف الإيقاع القرآني، ودور الفاصلة فيه تحديداً، بأنها ليست ككافية الشعر التي تقاس بالتفعيلات والاوزان والحركات والسكنات أو الزيادة والنقصان، وإنما الفاصلة القرآنية طليقة من كل هذه القيود، إذ يقول: ((فذلك شأن الإيقاع في القرآن، ليست الفاصلة فيه ككافية الشعر تقاس بالتفعيلات والاوزان، وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تُشدُّ حشداً، وتُلصقُ إصاقاً، ويلتمس فيها الإبهام والأغراب، بل الفاصلة طليقة من كل قيد، والنظم بنحوه من كل صنعة، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد، إن هو إلا أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص، يلين أو يشتد، ويهدأ ويهيج، ينساب انسياباً كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر عاتية تبهر الانفاس)).<sup>(٣)</sup>

وما دمننا في الحديث عن دور الفاصلة في إثارة الانسجام والتلاؤم بين أجزاء الآية القرآنية يجب علينا أن نفرق بين الفواصل في السور المكية والسور المدنية، حيث تتميز السور المكية - بوجه عام - بنائها على الفواصل القصيرة أو المتوسطة، لتتابعها وبروز موسيقاها، أما السور المدنية، فغالباً ما تطول فيها قرائن الفواصل طويلاً ملحوظاً: ((وفي ذلك سرٌّ من أسرار الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهو مناسبة الخطاب اللغوي في السور المكية لطبيعة المكين، فقد كانوا قوماً جابرة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والأخلاق الفاسدة. وذلك كله يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذة، غير مسترسلة وقولٍ حادٍ حاسمٍ، محذّرٍ، تقصر معه الجملة ويبرز

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٤٦.

(٢) المرجع نفسه: ٢٤٧.

(٣) مباحث في علوم القرآن: ٣٤٠.

التجانس الصوتي وتعلو الموسيقى. وترتبط هذه السمات الصوتية للخطاب المكي بحرارة التعبير على المستوى الاسلوبي، إذ يكثر في السور المكية أسلوب القسم، وأسلوب الاستفهام الانكاري والتحذير والوعيد وضرب الامثال للأفهام. إن قصر الجملة المكية والفاصلة المكية مما يناسب عقول المكيين وافهامهم. وذلك قريب مما نفعله حيثُ تبدأ مع الصغار بتحفيظهم السور القصار، (...)، اما الخطاب اللغوي في السور المدنية، فقد كان مسترسلاً متساوياً، ينزع الى التفصيل والتوضيح، ويتناسب ذلك مع وضع التشريعات والتعاليم الدينية وشرح حدود العقيدة بعد أن توطدت دعائم الدين الجديد. وكل ذلك يشهد على تلون الخطاب القرآني مع تغير الاحوال والمقتضيات وطبيعة المخاطبين)).<sup>(١)</sup>

نستنتج من هذا الكلام، أن السور المكية تتميز على وجه العموم بالإيقاع السريع، إذا قُورن بالإيقاع في السور المدنية الذي يميل الى البطء في درجاته، لذلك فالسريع سريع بالنسبة لما هو أبطأ منه، والبطيء بطيء بالنسبة لما هو أكثر منه سرعة في تتابع الاحداث المصوّرة. وقد ألمع الى ذلك سيد قطب في معرض حديثه عن علاقة الفواصل بالإيقاع الداخلي للقرآن الكريم، إذ يقول: ((وحينما تلا الانسان القرآن أحسّ بذلك الايقاع الداخلي في سياقه، يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلاً أو أكثر في السور الطوال، ولكنه على كل حال ملحوظ دائماً في بناء النظم القرآني)).<sup>(٢)</sup>

ولذلك يتنوع نظام الفواصل والقوافي، كما تعدد ألوان الايقاع الموسيقي، إذ نلاحظ هذا التنوع في السور المختلفة، وقد يتنوع في السورة الواحدة، فأما تنوعه في السور فمختلف بالقياس الى الفواصل بين الطول والمتوسط والقصر، ولذلك يكون شبيه باختلاف بحر الشعر في الديوان الواحد، وهذا يمكن تحديده في: ((انّ الفواصل تقصر غالباً في السور القصار، وإنها تتوسط أو تطول في السور المتوسطة والطوال. وبالقياس الى حرف القافية، ويشتد التماثل والتشابه في السور القصيرة، ويقل غالباً في السور الطويلة. وتغلب قافية النون والميم قلها ياء أو واو على جميع القوافي في سور القرآن الكريم. وذلك مع تعدد الاساليب الموسيقية ولو تشابهت القوافي في السور المختلفة)).<sup>(٣)</sup>

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٨٧-٨٨.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٨٠.

(٣) التصوير الفني في القرآن: ٨٤.

وأما تنوع هذا النظام في الفواصل في السورة الواحدة، قد نجدُه في مرات كثيرة ومتعددة. إنَّ الفاصلة والقافية لا تتغيران لمجرد التنوع، وإنما يعني أن هناك شيئاً خاصاً ما قد جاء في محتوى السورة وأحداثها، فهذا ما نجدُه في سورة آل عمران وهي من السور المدنية ذات الفواصل الطويلة. فالسورة قد بدأت بذكر الله سبحانه وتعالى واثبات وجوده ووحدانيته وإقامته على الكون والخلق أجمعين، وقد جاءت الآيات التي خصت هذا الموضوع بفواصل متنوعة بين (الميم، واللام، والهمزة، والباء، والدال، والراء، والنون)، كما في قوله تعالى: ((الم \* الله لا إله إلا هو الحي القيوم \* نزل عليك الكتاب بالحق مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مَنْ قَبَّلَ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ عَدَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)).<sup>(١)</sup> وكذلك قوله تعالى: ((رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُعْطِيَهُمْ أَموالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ)).<sup>(٢)</sup>

ونجدُ أن هذا التنوع في فواصل الآيات في بداية السورة، قد خلق تناغماً إيقاعياً متنوعاً سببه تنوع الفواصل في مقاطعه. لذا أظهر هذا الإيقاع المتنامي معنى دلاليًا هو قدرة الله سبحانه وتعالى في تثبيت ملكه ووحدانيته، وإنزال كتبه على أنبيائه لإصلاح سكان هذه الأرض وتخليصهم من الشرك به وبربوبيته، وتدرج الأحداث في السورة على هذا التنوع في الفواصل إلى أن تصل إلى قصة امرأة عمران ونذرهما ما في بطنها تضرعاً إلى ربها والمتمثل في ابنتها مريم وقصة مريم مع زكريا وهو النبي الذي كفلها وأشرف على تربيتها وتكوينها، وكذلك قصة زكريا مع ربه حين دعاه بذلك الدعاء الخفي المتمثل في مناجاة العبد الصالح لربه، وخصوصاً أن امرأته قد بلغت الكبر عتياً ولم تستطع الانجاب، فيشره الله على الكبر يحيى مصدقاً بكلمة منه وسيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين، فنجدُ أن هذا التنوع المتبادل في الفواصل قد استمر، ولكن قد طغى عليه التكرار المتبادل في فواصل (النون، والميم، والراء) بصورة خاصة، وكما في قوله تعالى: ((إذ قالت امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* فَلَمَّا وَضَعَتَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي أَعْبُدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ \* فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۗ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا ۗ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)).<sup>(٣)</sup>

(١) سورة آل عمران: ١/٣ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥.

(٢) سورة آل عمران: ٣/٨ - ٩ - ١٠.

(٣) سورة آل عمران: ٣/٣٥ - ٣٦ - ٣٧.

ويتواصل هذا التلون الایقاعي في تنوع الفواصل وعلاقتها مع الاصوات المكونة للألفاظ في هذه الآيات مما يزيد الایقاع انسياباً وتناغماً واضحاً كما في قوله تعالى: ((هَذَا لِكِ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ \* فَدَاثَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)).<sup>(١)</sup>

ويستمر هذا التنوع في الفواصل طوال سرد أحداث السورة محصوراً بين أصوات (النون، والميم، والراء، والذال)، كما في قوله تعالى: ((فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا حَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ \* سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا هُمْ بِالنَّارِ وَيُسْ مَثْوَى الظَّالِمِينَ)).<sup>(٢)</sup> كذلك قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)).<sup>(٣)</sup>

ويستمر هذا الایقاع في تطه طوال السرد القصصي لهذه الاصوات، فنلاحظ فيه غلبة صوت النون المجهور وما يثيره رنين صوت النون من جلالٍ وشجنٍ يناسب قداسة الاحداث في هذه السورة، وقوة تأثير هذا الشجن، وعمقه عندما تصوّر هذه الفواصل قمة الرنين، وخاصة عند اتصال صوت النون بأصوات المدّ الثلاثة الطويلة، ذات التردد السمعي العالي جداً وهي (الالف والواو والياء).

ويستمر هذا النقط الایقاعي المعتدل والمتبادل في فواصل سورة آل عمران ٣٨-٣٩. بين أصوات (النون والميم والراء) حتى قرب نهاية آياتها، الى أن نصل الى بدأ نمط الدعاء فيها من قبل الطائفة المؤمنة الذين يذكرون الله قياماً وعوداً وعلى جنوبهم، نلاحظ تغيراً طارئاً في الفواصل فترجع الى طابع التنوع العام كما في بدايتها، ونجد كذلك أن الایقاع يجنح من القوة والشدة والتهديد والوعيد تارة، الى الهدوء والطمأنينة والخشوع والسكون تارة اخرى كما تصورها مشاهد الدعاء والاستغفار، التي يصورها قوله تعالى: ((رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ \* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)).<sup>(٤)</sup>

(١) سورة آل عمران: ٣٨-٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥١.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٥-١٥٦-١٥٧.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٩١-١٩٤.

أي أننا نجد هنا أن هذا التنوع المتبادل في الفاصلة يكون بين (الراء) و (الدال)، ويستمر هذا التنوع في الفاصلة والايقاع من خلال الانتقال من مشاهد الدعاء الى مشاهد الجنة والنعيم والرضوان من الله عليهم، كما في قوله تعالى: ((لَئِنْ كُنَّا لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ \* وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشَتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)).<sup>(١)</sup>

ونلاحظ أن هذا التنوع الايقاعي في الفاصلة يستمر وفق تصوير المشاهد الى نهاية السورة، حيث تنتهي آياتها بفاصلة (النون) وهي الفاصلة التي انتهت فيها معظم آيات هذه السورة كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)).<sup>(٢)</sup> إن هذا التبادل والتنوع في فواصل سورة آل عمران يمنحها تناغماً إيقاعياً مناسباً غاية في العذوبة والجمال، ومما يساعد على ذلك طول آياتها (المتين)، ويؤدي هذا الانسياب الايقاعي المتموج فيها الى اظهار الدلالات الوظيفية لمفردات عباراتها من خلال انسجام صوت الفاصلة مع أصوات ألفاظ عباراتها. وهذا ما عبّر عنه سيد قطب بقوله: ((فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الاجواء التي تطلق فيها، فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظاماً خاصاً وينسجم مع الجو العام باطراد لا يُستثنى)).<sup>(٣)</sup>

ومما تقدم يمكن إجمال عدد الاصوات المكوّنة لفواصل سورة آل عمران، وكذلك التعرف على التمايز فيما بينها في عملية الورود كفواصل في نهاية الآيات، ولهذا قمنا بعمل الجدول الآتي الذي يظهر فيه نوع الصوت وعدد مرات مجيئه كفاصلة.

ت	نوع الفاصلة	عدد مرات ورودها
١	النون	١٢٠
٢	الميم الراء	٣١
٣	الباء	٢٣
٤	الهمزة اللام	١٠

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٢٠٠.

(٣) التصوير الفني في القرآن: ٨٦.

ت	نوع الفاصلة	عدد مرات ورودها
٥	القاف	٢
٦	الطاء الذال	٣
٧		١
٨		١
٩		٩
	المجموع	٢٠٠

ومن هذا الجدول يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- ١- يمكن عدّ صوت (النون) من أكثر الاصوات الصامتة تردداً وغلبةً في فواصل سورة آل عمران، وخصوصاً في المشاهد ذات الايقاع الشديد القوي، التي تنجّح الى التهديد والوعيد، وذلك لما يمتلكه صوت النون من ترددٍ سمعي عالٍ ينسجم مع هذه المواقف وأحداثها.
- ٢- نجدُ من خلال هذا الاحصاء أنّ مجيء صوت (النون) كفاصلة يساوي ضعفي الاصوات الصامتة الاخرى في فواصل سورة آل عمران.
- ٣- التنوع الحاصل في فواصل هذه السورة، حيث لم تقتصر فواصلها على الاصوات ذات التردد السمعي العالي فقط كـ (النون والميم والراء واللام والذال)، وانما وردت بعض الاصوات بنسب مختلفة ومتفاوتة كالهزمة بنسبة (٣) مرات، وصوت القاف بنسبة (١) مرة واحدة، منسجمة مع الاصوات الاخرى في آياتها.
- ٤- خلوّ نهايات فواصل هذه السورة من أصوات المدّ الطويلة وذات التردد السمعي العالي جداً، والسبب في ذلك - كما نرجّح - أنّ سورة آل عمران من السور المدنية الطويلة والتي تتمتع بطول آياتها، لذلك يخلو إيقاعها من تردد الاصوات ذات التردد السمعي العالي التي ينتج عنها إيقاعاً سريعاً، بل على العكس ينجح الى البطء والهدوء والاسترسال نتيجة طول آياتها التي تُعنى بشرح العقائد وتثبيت التشريع في الاسلام، على العكس من السور المكية ذات الآيات القصيرة، التي

تحتوي فواصلها على أصوات المدّ الطويلة، لذلك يميل إيقاعها الى القوة والشدة والتهويل، ولذا جاءت لإنذار ووعيد المكيين من عذاب الله سبحانه وتعالى، لأنّهم قومٌ جبارةٌ تسودهم العادات والتقاليد الجاهلية والشرك بالله.

يتضح لنا مما تقدّم أنّ كثرة تردد أصوات (النون والميم والراء) في فواصل سورة آل عمران يحمل في ذاته دلالات لفظية وأسلوبية وموسيقية عالية جداً في ترددّها الايقاعي، فصوتي النون والميم من الاصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، ويُعدّ ان من الاصوات الانسانية الانفية المجهورة. ويوصفان بأنّهما من الاصوات الصامتة ذات التردد السمعي في مددها الصوتية اثناء النطق بهما، لذلك يحصل بها جانب التنعيم السمعي.

وأما الراء فهو من الاصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة مجهور تكراري، يتجّ من تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق به، وهو من الاصوات ذات التردد السمعي العالي ايضاً نتيجة لهذا التكرار. لذلك يحمل نفس الصفات التي يتمتع بها صوتا النون والميم في بيان الدلالة اللفظية وتنوع الاسلوب الخطابي والموسيقى في هذه السورة. كما نجد هنا: ((فإنّ النون والميم هما الصوتان الانفيان في العربية، ويتمتعان لذلك بميزة موسيقية ظاهرة في (الغنة) التي تنشأ من ضغط الهواء الخارج من الرئتين بالفم عند النطق بأحدهما، فيخرج الهواء من الانف)).

أي أنّ صوت النون أثبت الصوامت في أصوات العربية وقوعاً في الفاصلة القرآنية، وذلك لطول مدتها الزمنية السمعية، ولكونها من الاصوات الشديدة الغنة، ومن هنا استحقت أن تكون أكثر الصوامت شيوعاً في فواصل القرآن الكريم.

ومن هذه الاسباب مجتمعة يمكن ان نلاحظ تفوق صوت النون في نهايات فواصل سورة آل عمران على بقية الاصوات في نهاية فواصلها الاخرى، وهو ما يثيره رنين صوت النون في موقعية سياقها في النفس من جلال وشجن، يناسب قداسة هذه السورة وقوة تأثيرها ولاسيما إذا صورت هذه الفاصلة قمة هذا الرنين والشجن المتواصل من خلال تكرار هذا الصوت مسبقاً بأصوات المدّ الطويلة (كالألّف والياء والواو) ذات التردد السمعي الطويل. ولذلك يظهر النمط الايقاعي لسورة آل عمران من خلال تكرار هذا الصوت في نهايات فواصلها، مُضيفاً لمقاطع آياتها انتظاماً زمنياً واضح الأثر، يُضفي بجرسه الموسيقي تأثيراً عميقاً على المتلقي، وذو قيمة تعبيرية ودلالية داخل سياقها اللفظي.

## الخاتمة والتتائج

يعد علم التشكيل الصوتي من العلوم المهمة والفعالة في دراسة وظائف الاصوات في اللغة. اي ان التشكيل الصوتي من خلال مظاهره المتنوعة، يؤدي وظيفة مهمة ومؤثرة في ترصين الدعائم الاساسية في البناء الصوتي لمفردات النص، وذلك بانضمام الاصوات بعضها الى بعض في وحدة عضوية تشكل المفردة أو مجموعة المفردات في عبارة متكاملة، شريطة ان تكون هذه الاصوات الداخلة في التركيب من مخارج متباعدة قدر الامكان وعديمة التنافر، وسهلة النطق. ومن هذا مجتمعاً تبرز القيم الجمالية والفنية للنص بصورة أوضح، مما يؤدي الى وضوح دلالاته اللفظية، فضلاً عن تأثيرها في ذهن السامع أو المتلقي - ومن خلال دراستنا للتشكيل الصوتي وأثره في سورة آل عمران توصلنا الى النتائج الآتية:

١. كان التكرار من أبرز مظاهر التشكيل الصوتي في القرآن الكريم، وفي سورة آل عمران بصفة خاصة، وذلك لما يضيفه عليها من تناسق جمالي يتجلى في الانسجام المنتظم في تكرار الوحدات التركيبية المكونة لسياق آياتها، وذلك لما تتمتع به من طول وفواصل متنوعة، مما يساعد على ابراز مشاهدتها بصورة مؤثرة، واعتدال نسقها الصوتي، واطهار دلالاته الوظيفية بصورة أوضح.

٢. أدى التجنيس دوراً مهماً في زيادة تناسق الالفاظ وانسجامها في النص القرآني بصورة عامة، وسورة آل عمران بصفة خاصة، وذلك لما أوجده من تناسق بين الفاظها، جاء هذا التناسق من خلال تساوي عدد الالفاظ المتجانسة في الآية ومقاطعها المتنوعة، أو في عدد حروف الالفاظ المشكلة أو البعض منها، وأن اختلف في محتواها الصوتي ودلالاتها السياقية. وتم ذلك من خلال الوانه وتشكيلاته المتنوعة، من أجل اظهار المعنى الدلالي وزيادة تأثيره في اذن المتلقي.

٣. احتواء ثنايا سورة آل عمران على فن المزوجة وصنوفها في تراكيبها اللفظية بنسب كثيرة، وذلك لما تتمتع به هذا السورة من طول في فواصل آياتها، مما ساعد هذا على انتظام النسق التركيبي لألفاظها، واضفى ذلك عليها طابعاً موسيقياً غاية في الجمال والعدوية، أدى الى الافصاح عن المعاني الدلالية بصورة واضحة، خلقه هذا التزاوج بين الالفاظ كما جاء في الامشاة المذكورة سالفاً.

٤. اضفت المشاكلة على ثنايا سورة آل عمران نمطاً من التشكيل الصوتي، من خلال نوعيتها التحقيقي والتقريرية، وذلك لما تتمتع به من حسن جمال العبارة وتنظيمها وسموها. أدى

هذا الى بيان دلالاتها اللفظية المنتظمة في النسق التركيبي لها، دلالة على علو ورفع النص القرآني وتجرده عن بقية النصوص الاخرى.

٥. كان للفاصلة الصوتية دورٌ مهمٌ في بناء التشكيل الصوتي وتنوعه في سورة آل عمران وقد تجلّى ذلك الدور من خلال ما أضفته تلك الفاصلة من تنظيم لآيات السورة واتساقها واتصال معانيها مما خلق بينها موسيقى تنبعثُ عن الانسجام الصوتي بين الفاصلة وأصوات الالفاظ المكونة للنسق الصوتي للآية في هذه السورة. فضلاً عما أدته الفاصلة من دور في ربط ما قبلها بما بعدها من الناحية السياقية والدلالية، أضف الى ذلك ان التنوع الصوتي للفواصل في مقاطع السورة قد أوجد نوعاً من الترزم الصوتي فيما بينها وخصوصاً في أصوات (النون والميم واللام) عند سبقها بأصوات المد الطويلة (كالألف والياء والواو)، وقد أدت هذه الخصائص مجتمعة الى حدوث تناسق موسيقي نتج عنه ظهور الدلالات الوظيفية للالفاظ المتسقة في تركيب الآية أو السورة بصورة أشمل.

٦. أخذ التلاؤم الصوتي في الفاظ سورة آل عمران طابعاً متميزاً من الانسجام الصوتي، سواء على مستوى اللفظة او على مستوى النظم في سياقها التركيبي، وذلك من خلال تتابع أصوات مفرداتها في التأليف وعدم خروجها من مخارج متقاربة كل القرب أو متباعدة كل البعد. وكذلك من حيث ارتباطها بالدلالات الوظيفية لها، ويأتي ذلك من خلال الاستجابة الحسية التي يجدها المتلقي مستمعاً أو قارئاً، وتنشأ هذه الاستجابة من خلال تتابع أصوات الفاظها في التأليف. وإن سر هذا كله يكمن في الانسجام الذي يحصل بين الاصوات في مخارجها السهلة اليسيرة في النطق.

٧. تجلّى الطابع الايقاعي لسورة آل عمران في نمطين من مستويات الايقاع، الاول في تكرار الصوت المفرد في اللفظة المفردة ووضعها في النسق التركيبي المتوازن، مما ضمن لعا اعتدالاً مع بقية الالفاظ أو تناسباً معها بشكل أكثر انتظاماً من خلال الاثر الدلالي الذي تركه هذا الصوت في اللفظة المفردة وتلاؤمه مع بقية الاصوات المجاورة له في التركيب النسقي للالفاظ الاخرى. فضلاً عما تتمتع به هذا الصوت من صفات مخرجية تختلف عن بقية الاصوات المجاورة له. لذلك كانت اللفظة أكثر تميزاً عن بقية الالفاظ الاخرى. واما المستوى الثاني فهو في المستوى الايقاعي للعبارة بأكملها الذي يعني تكرار العبارة في نسق الآية القرآنية لعدة مرات، نجم عن هذا التكرار حدوث إيقاع رتيب ومتوازن يعتمد على طول الآية أو قصرها. أسهم في اظهار الدلالات العامة بصورة أوضح.

## المصادر والمراجع:

- الاتقان في علوم القرآن، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، ت ٩١١ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ط٣، مصر، ١٩٥١ م.
- أثر القرآن في تطور النقد الادبي الى اخر القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦١ م.
- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، د. توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب ١٩٨٤ م.
- اسباب حدوث الحرف، ابن سينا (أبو علي الحسين بن سينا، ت ٤٢٨ هـ)، صححه ووقف على طبعه محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٣٣٢ هـ.
- اسرار البلاغة، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت ٤٧١ هـ) تتحه - ريتز، مطبعة وزارة المعارف - استانبول، ١٩٥٤ م.
- اسرار التكرار في القرآن، الكرمانى (محمود بن حمزة بن نصر)، تح: عبد القادر احمد عطا، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د. ت.
- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى صادق الرافعي، راجعه وصححه: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبلاى، ط٧، ١٩٦١ م.
- اعجاز القرآن، الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب، ت ٤٠٣ هـ)، تح: السيد احمد الصقر، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨ م.
- الاعجاز القرآني (سلسلة بحوث المؤتمر الاول للاعجاز القرآني المعقود ببغداد، ١٩٩٠ م)، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٩٠ م.
- الايضاح في علوم البلاغة، القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٧٣٩ هـ) تح: لجنة أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الازهر، اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثني - بغداد، د. ت.
- بديع القرآن، ابن ابي الاصبع (عبد العظيم بن عبد الواحد، ت ٦٥٤ هـ)، تح: حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط١، ١٩٥٧ م.
- البديع في ضوء اساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، ط١، ١٩٧٩ م.
- البديع، ابن المعتز (عبد الله، ت ٢٩٦ هـ)، تعليق ونشر: اغناطيوس كراتشوفسكي، اعادت طبعه بالافست مكتبة المثني، بغداد، ١٩٦٧ م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله، ت ٧٩٤ هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، ط٢، د. ت.

- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب (أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم)، تح: د. احمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م.
- البلاغة العربية، المعاني والبيان والبديع، د. أحمد مطلوب، ١٩٨٠.
- بيان اعجاز القرآن، الخطابي (احمد بن حمد بن حمد بن ابراهيم، ت ٣٨٨ هـ)، (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)، تح: د. محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر، د. ت.
- البيان والتبين، الجاحظ (أبو عمرو بن بحر، ت ٢٥٥ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٦٠م.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦ هـ)، شرح ونشر: السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨١م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية، د. سلمان حسن العاني، ترجمة: د. ياسر الملاح، جدة (المملكة العربية السعودية)، ١٩٨٣م.
- التصوير البياني، د. حفني محمد شرف، نشر: مكتبة الشباب، ط ٢، ١٩٧٣م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، مكتبة القرآن، بيروت، د. ت.
- تطوير البحث الدلالي ((دراسة في النقد البلاغي))، د. محمد حسين الصغير، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٨٨م.
- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره بيت الحكمة، ١٩٨٦-١٩٨٧م.
- التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٧٣٩ هـ)، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، ط ٢، مصر، ١٩٣٢م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٢١٠ هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٩٨٨م.
- جرس الالفاظ ودلالاتها في البلاغة العربية، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- الخصاص، ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت ٣٩٢ هـ)، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤، ١٩٩٠م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.

- دلائل الاعجاز، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت ٤٧١ هـ)، تصحيح وتعليق: الامام محمد عبده، ومحمد رضا رشيد، ومحمد محمود الشنقيطي، واحمد المراغي، نشر: مكتبة القاهرة، ١٩٦٩ م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، المطبعة العثمانية، ١٩٦٢ م.
- الرسالة الشافعية، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت ٤٧١ هـ)، عن نسخة حسين جلبي المصورة بمعهد المخطوطات - الجامعة العربية (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)، د. ت.
- الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية، الصنعاني (عباس بن علي ابن ابي عمرو)، الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس، د. ت.
- رسائل اخوان الصفاء وحلان الوفاء، المجلد الثالث، دار بيروت للطباعة والنشر، ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧ م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن سعيد، ت ٤٦٦ هـ)، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده، ١٩٦٩ م.
- سر صناعة الاعراب، ابن جنبي (أبو الفتح عثمان، ت ٣٩٢ هـ)، تح: د. حسن هندواوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥ م.
- الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (أبو الحسن احمد، ت ٣٩٥ هـ)، تح: د. مصطفى الشويحي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣ م.
- الصناعتين، العسكري (أبو هلال، ت ٣٩٥ هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر د. ت.
- الطراز، العلوي (يحيى بن حزه بن علي بن ابراهيم، ت ٧٤٤ هـ)، دار الكتب العامة، بيروت، د. ت.
- الظاهرة القرآنية، مالك بن بني، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مطبعة دار الجهاد، القاهرة، ط ٢، ١٩٦١ م.
- عصر القرآن، د. محمد مهدي البصير، بغداد، ط ٣، ١٩٨٧ م.
- عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الاردن، ١٩٨٥ م.
- علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤ م.
- علم اللغة العام (الاصوات)، د. كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ط ٥، ١٩٧٩ م.

- العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده، القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق، ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة السعادة، ١٩٦٤ م.
- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (محمد بن احمد، ت ٣٢٢ هـ)، تح: د. طه الحاجري، ود. محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- العين، الفراهيدي (الخليل بن احمد، ت ١٧٥ هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، مطابع الرسالة - الكويت، ١٩٨٠ - ١٩٨١ م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٩٦٨ م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ١١، ١٩٨٥ م.
- القرآن الكريم
- الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان، ت ١٨٠ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٨٣ م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (الامام جاد الله محمود بن عمر، ت ٥٢٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، د. ت.
- لسان العرب المحيط، ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ)، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العيلالي، دار لسان العرب - بيروت، د. ت.
- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٨، بيروت، ١٩٧٢ م.
- مبادئ النقد الادبي، أ. - أ. رتشاردز، ترجمة: د. مصطفى بدوي، مراجعة: د. لويس عوض، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، والنشر، د. ت.
- المثل السائر - في ادب الكاتب والشاعر، ابن الاثير (ضياء الدين، ت ٦٣٧ هـ)، قدم له وحققه وعلق عليه، د. احمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت.
- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، د. ت.
- المشاهد في القرآن الكريم - دراسة تحليلية وصفية، د. حامد صادق قتيبي، مكتبة المنار، الاردن - الزرقاء، ١٩٨٤ م.
- مع الموسيقى ذكريات ودراسات، د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت.
- معاني القرآن، القراء (أبو زكريا يحيى بن زياد، ت ٢٠٧ هـ)، تح: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، طبع الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٧٢ م.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، طبع: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣ م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وشبه، ود. كامل المهندس، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤ م.
- مفتاح العلوم، السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن ابي محمد بن علي، ت ٦٢٦ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٩٣٧ م.
- المقابسات، التوحيدى (أبو حيان علي بن محمد، ت ٤٠٠ - ٤٠٣ هـ)، تحقيق وشرح: حسن السندوي، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٩ م.
- من اسرار التعبير القرآني - دراسة تحليلية لسورة الاحزاب، تح، د. محمد أبو موسى، مطبعة السعادة، ١٩٧٦ م.
- منهاج البلغاء وسراج الادباء، القرطاجني (أبو الحسن حازم، ت ٦٨٤ هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الاسلامي، ط ٣، بيروت - لبنان، ١٩٨٦ م.
- نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، داود سلوم، ود. عمر الملاحيوش، مطبعة الامة - بغداد، ١٩٧٧ م.
- نظرية الادب، اوستن وارين، ورينه ويليك، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: د. حسام الخطيب، مطبعة الطرايشي، ١٩٧٢ م.
- نقد الشعر، قدامه بن جعفر (أبو الفرج، ت ٣٢٧ هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ت.
- النكت في اعجاز القرآن، الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى، ت ٣٨٦ هـ)، (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت ٤٧١ هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل ابراهيم - وعلي محمد البجاوي، دار القلم - بيروت - لبنان، د. ت.

## الرسائل الجامعية:

- الاسلوب في الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد عبد الكريم الكوازي، رسالة دكتوراه (بالآلة الكاتبة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠ م.
- الايقاع / انماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم، دراسة اسلوبية دلالية، عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري، رسالة ماجستير (بالآلة الكاتبة)، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٥ م.
- دلالة الانساق البنائية في التركيب القرآني، عامر عبد محسن السعد، رسالة دكتوراه (بالآلة الكاتبة)، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٥ م.
- لغة الشعر عند عبيد بن الابرص، جهان عبد الواحد شغاتي السلمي، رسالة ماجستير، (بالآلة الكاتبة)، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٩٧ م.

## البحوث:

- الاسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق، د. ماهر مهدي هلال (آفاق عربية)، (ع ١٢ - ١٩٩٢ م).
- الاعجاز البياني في كتاب العربية الاكبر، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، (مجلة مجمع اللغة العربية)، (مج ١٢)، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- بنية القصيدة، د. عبد الهادي زاهر، (مجلة كلية الآداب - جامعة صنعاء)، (ع ٣ - ١٩٨١ م).
- عدد خاص من المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، د. محمد رشاد الحمزاوي، (حوليات الجامعة التونسية، ع ١٤ - ١٩٧٧ م).
- الفواصل الصوتية في الكلام وأثرها على المواقع النحوية (دراسة للوقف والسكن)، مصطفى النحاس، (المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت ع ٢٤ - ١٩٨٩ م).
- من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، د. محمد سليمان العبد، (المجلة العربية للعلوم الانسانية - جامعة الكويت، ع ٣٦ س ٩، خريف ١٩٨٩ م).
- منهج البحث الصوتي عند العرب نقد وتحليل، د. محمد حسين الصغير، (مجلة الضاد، بغداد، ع ٣ - ١٩٨٩ م).
- منهج التحليل اللغوي، د. سمير شريف ستيتيه، (مجلة آداب المستنصرية، ع ١٦ - ١٩٨٨ م).



### المؤلف في سطور:

- حاصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من قسم اللغة العربية - كلية الآداب، جامعة البصرة عام 1991.
- حاصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من قسم اللغة العربية - كلية الآداب، جامعة البصرة عام 1999.
- حاصل على شهادة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها من قسم اللغة العربية - كلية الآداب، جامعة البصرة عام 2007.
- عمل مدرساً في وزارة التربية عام 1990.
- عمل استاذاً جامعياً في جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي عام 2001.
- شغل منصب مسؤول الشؤون العلمية في جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي عام 2007.
- شغل منصب مدير مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة عام 2007.
- له العديد من الابحاث المنشورة في العديد من المجلات العلمية المحلية والعربية.
- شارك في العديد من المؤتمرات العلمية المحلية.
- حاصل على لقب استاذ دكتور من جامعة البصرة في عام 2017.